الباب الأول

مدخل لدراسة سنن العمران البشري

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيد:

يمثل هذا الباب إطاراً معرفياً ومنهجياً لمقاربة العمران البشري مقاربة سننية، وفق الرؤية القرآنية التوحيدية. ولعل الناظر في القرآن الكريم والمتفحص لرؤيته للإنسان والكون والتاريخ والعمران يقف على حقيقة كبرى تشكل حجر الزاوية في الخطاب القرآني حول التاريخ والاجتماع البشري، وهي حقيقة المنظومات السننية الحاكمة لحركة التاريخ والعمران الإنساني، والموجهة لمعتركات عوالم الابتلاء والتدافع والتداول والتجديد، وصيرورة الحركة الاستخلافية والفعل العمراني الراشد. "إن هذه النظرة القرآنية للسُنن الإلهية، تجعل منها أحد أكثر الظواهر دلالة على الإعجاز الكوني، والاستخلافي، والعمراني، والحضاري للقرآن الكريم، ولنظرته الوجودية. وتَجلّي السُّنن الإلهية على المستوى الكوني، وجَرَيانها في ظواهره الطبيعية والمادية والبشرية، وضَبْطها لحركة الاستخلاف البشري على مستوى التصور والنظرة، وتَحَكُّمها في العمران الحضاري الإنساني على المستوى الفعلي، دليل على الأهمية التي يوليها القرآن للسُّنن، والمكانة التي تحتلها ضمن بنائه التصوري الكوني العام."[1]

ويمكن القول إن خاتمية الرسالة قد حكمت منهجية القرآن الكريم حيث لم يعهد في كتاب سماوي هذا الإرشاد الإلهي إلى أهمية السنن، ووظيفتها، ومواردها، وخصائصها، مع تقديم معطيات تاريخية وتجارب حضارية تجلت من خلالها عواقب الأمم ومصائر الشعوب سقوطاً ونهوضاً وفق منطق سنني محكم من لدن حكيم عليم. لقد منح القرآن المجيد للبشرية رؤية جديدة في التعامل مع التاريخ واستشراف المستقبل قائمة على السير في الأرض والنظر في التاريخ وتجارب الأمم نظراً حسياً ومعنوياً، وفي الزمان والمكان، لاكتشاف ما يحكم ظواهر العمران البشري من سنن

---

(١) برغوث، عبد العزيز. "ملاحظات حول دراسة السنن الإلهية في ضوء المقاربة الحضارية"، **مجلة إسلامية المعرفة**، العدد: (٤٩)، السنة: (١٣)، (صيف ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)، ص٤٣-٤٤.

مطردة نافذة ثابتة لا تحويل فيها ولا تبديل، وبذلك لن تكون البشرية بعدها في حاجة إلى رسالة سماوية جديدة.

ولعل من أعظم الإخلال التي تكبل حركة تجديد الأمة وفعاليتها منهج الذرية والتعضية والتنافر بين منظومات السنن الأربع، وما حصل من اضطراب في الموقف من منظومات سنن التسخير والاستخلاف، مما أثر على حركة فاعلية الأمة وانخراطها في الفعل التجديدي المنوط بها والمحقق لخيريتها وشهادتها على الناس، وهو ما أدخل الأمة في نفق حرب استنزاف الطاقات، وهدر الإمكانات استوجب ضرورة تأسيس الوعي بوظيفة السنن وأبعادها ومستوياتها وتشكلاتها وتفاعلاتها وتعقيداتها وتطبيقاتها وفق رؤية القرآن الكريم الكونية التوحيدية الاستخلافية السننية الإعمارية. وقد أكدت "المدرسة الحضارية في الفكر الإسلامي، الأهمية الحيوية البالغة للوعي السنني في حركة الصيرورة الاستخلافية، من خلال اتجاهها إلى البحث في المنهج، ثم استثمار المنهج في استقراء منظومات سنن الخلق والتسخير والاستخلاف، والعمل على إدراجها تدريجياً في البناء الثقافي العام الذي يشكل وعي الفرد، ويصوغ حياة المجتمع وفقاً لذلك.

وإن كان كل ذلك يتم ببطء شديد، ويعاني من المد والجزر، بسبب قوة الدفاع الذاتي والدفاع الخارجي الذي تمارسه المنظومات المعرفية الجزئية، التي طال عهدها بالانكفاء حول نفسها، حتى تحولت مع الزمن إلى كيانات معرفية وثقافية مستقلة، تأبى الاندماج، وتعمل دوماً على الدمج لغيرها إن اقتضت حركة التدافع ذلك كما يتضح ذلك في العديد من النواتج الفكرية والسلوكية والاجتماعية، الملفقة المميعة الهجينة... في تاريخنا الحضاري العام."[1]

ويقدم هذا الباب مداخل متعددة لفهم سنن العمران البشري: المدخل اللغوي والمصطلحي، والمدخل الدلالي القرآني والحديثي، والمدخل البنيوي، والمدخل

---

(١) برغوث، الطيب. **مدخل إلى سنن الصيرورة الاستخلافية على ضوء نظرية التدافع والتجديد**، سلسلة آفاق في الوعي السنني، دمشق: مركز الراية للتنمية الفكرية، ط١، (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ص٤٠-٤١.

الحضاري الاستخلافي، والمدخل المعرفي والمنهجي. ولعل تساند هذه المداخل وتكاملها في بناء الرؤية المعرفية والمنهجية لمسألة سنن العمران البشري يقوم بالأساس على:

- الوعي بالتناول الكلي الشمولي لمسألة السننية وتجاوز المنظور التجزيئي الذي يقصر عن إدراك حقيقة السنن ضمن الصيرورة الاستخلافية، ويغفل عن مستوياتها المعرفية والمنهجية والتطبيقية في الفعل الحضاري.
- مركزية السنن في البناء الحضاري وأبعادها الوظيفية في استعادة مكانة الأمة الوسط، والأمة الشهود لقيادتها الحضارية.
- الفقه القرآني السنني والمنظومات الحاكمة وبناء المستقبل.
- دلالة ختم النبوة والنموذج الرسالي النبوي العالمي في ضبط المنهاجية السننية وتطبيقاتها العملية ونجاحاتها الميدانية.
- تتبع أهم الإنتاجات الفكرية والإسهامات النظرية في مجال الفكر الإسلامي عبر التاريخ ودورها في التأسيس والتقعيد لمسألة السننية مع ذكر أهم المراحل والكتابات في هذا المجال، وما أفضى إليه هذا الكسب الرسالي الحضاري من الإحكام السنني وعياً واستنباطاً وفهماً وتدبراً وصياغة وتنزيلاً واستثماراً وتجديداً.

obeikandl.com

الفصل الأول:

دلالة لفظي "السنن" و"العمران" في القرآن والحديث والاصطلاح العام

تمهيد:

يسعى هذا الفصل إلى الكشف عن دلالة لفظي السنن والعمران وذلك من خلال:

- الدلالة المعجمية اللغوية للفظي السنن والعمران، وذلك للوقوف على أصلهما الاشتقاقي اللغوي، ومعرفة الأصل الدلالي الذي منه أخذ اللفظ، على اعتبار أن "بين المصطلح وأصله اللغوي وجوهاً من المناسبة وهذه لا تنقطع باكتساب اللفظ لدلالته الاصطلاحية."[(١)]
- الدلالة الاصطلاحية العامة للفظي السنن والعمران وذلك بالوقوف على مفهومهما من خلال تتبع التعريفات الاصطلاحية لهما عند المتقدمين، والمتأخرين، والمحدثين المعاصرين.
- حد السنن والعمران في القرآن والحديث، وذلك من خلال: تتبع موارد اللفظين فيهما إحصاء ووصفاً، وتبين دلالاتهما حسب مواردهما وسياقاتهما داخل النص القرآني والنبوي، مع الوعي بخصوصية اللفظ القرآني وفهمه داخل الوحدة البنائية الموضوعية للنص القرآني واستحضار بعده الرباني المطلق مما يجعله لفظاً متميزاً بالامتلاء والقوة الاصطلاحية ابتداء.

ونظراً إلى أن التوسع في الدراسة المصطلحية للفظي السنن والعمران -على ما تتضمنه الدراسة المصطلحية من خطوات منهجية تتعلق بتتبع دلالة اللفظ معجمياً،

---

(١) اليعقوبي، مصطفى. "الدراسة المعجمية للمصطلح"، **مجلة دراسات مصطلحية**، فاس: معهد الدراسات المصطلحية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد (٥)، ٢٠٠٦م، ص٣٣.

ومعرفة حجم وروده في النص القرآني والحديثي، وأحوال هذا الورود وسياقاته، وحصر عناصر معانيه، ورصد خصائصها، وصفاتها، وعلاقاتها، وضمائمها، واشتقاقاتها،...- قد يفضي بنا إلى تطويل قد يكون هو بذاته بحثاً مستقلاً، فإننا سنركز القول معرضين عن التفاصيل الجزئية التي تحمل المعاني والدلالات نفسها المشار إليها تمثيلاً لا حصراً، وبما يجعلنا نقف على حقيقة دلالة كل من لفظي السنن والعمران وبما يحقق مقاصد الدراسة المصطلحية ويسعفنا في الاقتراب من الحقيقة الدلالية للفظين المدروسين.

أولاً: الدلالة المعجمية (اللغوية والاصطلاحية) للفظ "سنن"

تجدر الإشارة بدءاً إلى اختلاف أهل اللغة في تعيين طبيعة لفظ"سنن" من حيث هو اسم جامد غير مشتق، أو هو اسم مصدر سن. وقد عكس هذا الاختلاف الصيغة المعتمدة في افتتاح شرح المادة داخل معاجم اللغة؛ فالجوهري وغيره يفتتحها بـ"السنن" وقد عدّوها اسماً جامداً غير مشتق، والأزهري (توفي: ٣٧٠هـ) وغيره يفتتحونها بـ"سن" أي أنها مصدر اسم "سن". وقد قدم ابن عاشور (توفي: ١٩٧٣م) في تفسيره إفادة مهمة تتعلق باشتقاق لفظ"السنة" في اللغة حيث قال: "وقد تردد اعتبار أئمة اللغة إياها اسماً جامداً غير مشتق، أو اسم مصدر سن؛ إذ لم يرد في كلام العرب السن بمعنى وضع السنة، وفي الكشاف في قوله: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾ [الأحزاب: ٣٨]: سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تراباً وجندلاً، ولعل مراده أنه اسم جامد أقيم مقام المصدر كما أقيم تراباً وجندلاً مقام تباً وسحقاً في النصب على المفعولية المطلقة، التي هي من شأن المصادر، وأن المعنى تراب له وجندل له أي: حصب بتراب ورجم بجندل. ويظهر أنه مختار صاحب القاموس لأنه لم يذكر في مادة سن ما يقتضي أن السنة اسم المصدر، ولا أتى بها عقب فعل سن، ولا ذكر مصدراً لفعل سن. وعلى هذا فهو اشتقاق نادر. والجاري بكثرة على ألسنة المفسرين والمعربين: أن السنة اسم مصدر سن، ولم يذكروا لفعل سن مصدراً قياسياً"[1] وهذا

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر. **التحرير والتنوير**، تونس: دار سحنون، (د. ت.)، ج٤، ص٩٦-٩٧.

الاختيار الأخير هو الذي رجحه ابن عاشور، وهو أيضاً اختيار أبي منصور الأزهري[1] وبعض أهل العلم باللغة.

١ - السنة في اللغة:

السنة مشتقة من الفعل (سنّ) بفتح السين المهملة وتشديد النون، أو من سنن). وترجع هذه المادة إلى أصل واحد هو الجريان والاطراد، فهي تعود كما يقول ابن فارس (توفي ٣٩٥هـ) "أصل واحد مطرد وهو جريان الشيء واطراده في سهولة. والأصل قولهم سننت الماء على وجهي أسنه سناً، إذا أرسلته إرسالاً. ثم اشتق منه رجل مسنون الوجه... ومما اشتق منه السنة وهي السيرة... وإنما سميت بذلك؛ لأنها تجري جرياً"[2] ويشير قول ابن فارس إلى ذلك التطور الدلالي الاشتقاقي للفظ "السن" و"السنة". فدلالة اللفظ في أصله دلالة حسية مادية مرتبطة بالحقل الطبيعي تتجلى في جريان الماء وإرساله في سهولة واطراد، ثم تحول ليرتبط بدلالة حسية تنتمي إلى المجال البشري ممثلاً في معنى صقالة وجه الإنسان، ليبلغ التطور الدلالي إلى اشتقاق ثالث وهو السنة بمعنى السيرة ليخرج اللفظ من المعنى الحسي بمجاليه الطبيعي والبشري وإن ظل محتفظاً بهما إلى دلالة مجازية معنوية تتعلق بالسيرة والجامع بينهما هو معنى الجريان.

وإلى هذا المعنى نفسه أشار ابن السكيت (توفي: ٢٤٤هـ) فالسن عنده الصب، "سننت الماء على وجهي... صببت"[3] وسنن الطريق بفتح السين وضمها، "ومعناه:..

---

(١) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد. **تهذيب اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون ومحمد علي النجار، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والنشر، (د. ت.)، مادة سن، ج١٢، ص٢٩٨، حيث قال: "فالسن المصدر، والسنن الاسم بمعنى المسنون".

(٢) ابن فارس، أبو الحسين أحمد. **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٦٨هـ، مادة: سن، ج٣، ص٦٠-٦١.

(٣) ابن السكيت، يعقوب بن إسحق. **كتاب الألفاظ**، تحقيق: فخر الدين قباوة، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٨م، ص٢١٨.

متن الطريق وقصده"[1] ولعل أول من ذكر أن أصل السنة هي سنة الطريق هو أبو عمرو شمر بن حمدويه الهروي (توفي: ٢٢٥هـ)، وقد نقل ذلك عنه الأزهري فقال: "قال شمر السنة في الأصل: سنة الطريق، وهو طريق سنه أوائل الناس فصار مسلكاً لمن بعدهم"[2] ثم صار على ذلك ابن السكيت كما ذكرت، وهو ما يجعل لفظ السنة يتخذ دلالة القصد وابتداء أمر ما، وسلوكه بما لم يكن معروفاً من قبل، ومن ذلك قول نصيب الشاعر:

كـأني سـننت الحـب أول عاشـق من الناس إذ أحببت من بينهم وحدي[3]

بالإضافة إلى دلالته الأولى وهي الجريان والاطراد والدوام، وهي الدلالة الأصلية التي اتفق عليها أهل اللغة الأوائل أمثال ابن فارس وابن السكيت والكسائي (توفي: ١٩٧هـ)، فقد ذكر الشوكاني (توفي: ١٢٥٠هـ) عن الكسائي "أن السنة الدوام."[4]

وعلى هذه الدلالة الأصلية الأولى تولدت دلالات متعددة في استعمالات لغوية مختلفة بحسب الصيغة الاشتقاقية، فقد ذكر الفخر الرازي (توفي ٦٠٦هـ) في اشتقاق لفظ السنة ثلاثة وجوه: "الأول أنها فعلة من سن الماء يسنه إذا والى صبه، والسن: الصب بالماء، والعرب شبهت الطريقة المستقيمة بالماء المصبوب... الثاني: أن تكون من سننت النصل والسنان أسنه سناً فهو مسنون، إذا حددته على المسن... الثالث: أن يكون من قولهم: سن الإبل، إذا أحسن الرعي. والفعل الذي داوم عليه النبي ﷺ سمي سنة بمعنى أنه ﷺ أحسن رعايته وإدامته."[5] وغفل الرازي عن ذكر أصل

---

(١) المرجع السابق، ص٣٤٣.

(٢) الأزهري. **تهذيب اللغة**، مرجع سابق، مادة سن، ج١٢، ص٢٩٨.

(٣) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، (د. ت.)، مادة سنن، ج١٣، ص٢٢٥.

(٤) الشوكاني، محمد بن علي. **إرشاد الفحول في إحقاق الحق من علم الأصول**، تحقيق: محمد سعيد البدري، بيروت: دار الفكر، ط١، (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، ص٣١.

(٥) فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر. **التفسير الكبير**، القاهرة: دار الغد العربي، ط١، (١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، ج٤، ص٤٦٢.

دلالي من أصول لفظ السنة أشار إليه ابن فارس وصرح به العسكري (توفي ٤٠٠هـ) في الفروق بقوله: "وأصل السنة الصورة، ومنه يقال: سنة الوجه أي صورته."[١]

– السنة بمعنى السيرة المستمرة والطريقة المتبعة المعتادة سواء أكانت حسنة أم سيئة: وأصله "سن سنة حسنة: طرق طريقة حسنة"[٢] وهو اختيار ابن منظور[٣] (توفي: ٧١١هـ) ووافقه عليه الزبيدي[٤] (توفي: ١٢٠٥هـ) مخالفاً بذلك تقييد كل من الأزهري[٥] والخطابي[٦] (توفي ٣٨٨هـ) لمعنى السنة بالطريقة المستقيمة المحمودة. ولعل أول من تنبه إلى ذلك بحسب علمي هو أبو جعفر النحاس (توفي ٣٣٨هـ) بقوله: "السنة تكون في الخير والشر"[٧] والعرب شبهت الطريقة المتبعة، والسيرة

---

(١) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل. **الفروق اللغوية**، حققه وعلق عليه: محمد ابراهيم سليم، القاهرة: دار العلم والثقافة، ط١، ١٩٩٨م، ص٢٢٦.

(٢) الزمخشري. جار الله محمود بن عمر. **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ، ج١، ص٤٧٨. ومنه قول الأديب الأندلسي أبي بكر محمد بن أحمد الأنصاري:

سن الفرزدق سنة فتبعتها ... إني لما سن الكرام تبوع

وذلك "لأن الفرزدق قيد نفسه والتزم أن لا يفك القيد من رجليه حتى يحفظ القرآن، وقد اقتدى به في ذلك الأديب أبوبكر... حيث سئل عن لغة بمحضر من خجل منه، فلم يحضره جواب، فقيد نفسه في قيد حديد، وحلف أن لا ينزعه حتى يحفظ الغريب المصنف في اللغة" يقصد كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (٢٢٢هـ) ذكر هذا البيت والقصة. انظر:

– السلوي، عبد القادر بن عبد الرحمن. **الكوكب الثاقب في أخبار الشعراء وغيرهم من ذوي المناقب**، تحقيق: عبد الله الياسمي، الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ج١، ص٨٩.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، مادة سنن.

(٤) مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد. **تاج العروس من شرح جواهر القاموس**، بيروت: دار الجيل، (د. ت.)، مادة سنن.

(٥) الأزهري، **تهذيب اللغة**، مرجع سابق، مادة سن، ج٢١، ص٢٩٨.

(٦) الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر. **البحر المحيط في أصول الفقه**، تحقيق: عبد القادر عبد الله العاني، الغردقة: دار الصفوة، ط٢، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، ج٤، ص١٦٤.

(٧) النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد. **شرح القصائد التسع المشهورات**، تحقيق: أحمد خطاب العمر، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ط١، (١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م)، ج١، ص٤٤٣.

المستمرة بالشيء المصبوب، لتوالي أجزائه على نهج واحد، ومن هذا المعنى قول خالد بن عتبة الهذلي:

فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها فأول راضٍ سنة من يسيرها[1]

- السنة بمعنى المثال، وهو مأخوذ من دلالة الابتداء،[2] وقد دل عليه قول الأزهري آنفاً، ومنه قول لبيد بن ربيعة:

من معشر سنَّت لهم آباؤهم ولكل قوم سُنَّةٌ و إمَامُها[3]

ومأخوذ أيضاً من دلالة القصد،[4] ويشهد له قول ابن السكيت المذكور. و"الأم بالفتح: القصد، أمه يؤمه أماً إذا قصده... "[5] وهنا يشترك لفظ "سن" و"أم" في هذا المعنى أي دلالة القصد وأيضاً دلالة الطريقة، فقد جاء في الصحاح "والأمة: الطريقة والدين..."[6] وفي لسان العرب "جاءت الرياح سنائن إذا جاءت على وجه واحد وطريقة واحدة لا تختلف،[7] والمسنون في أحد أقوال أهل اللغة هو المسلوك

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، مادة سنن.

(٢) جاء في لسان العرب:"وكل من ابتدأ أمراً عمل به قوم بعده قيل: هو الذي سنه." مادة سنن.

(٣) النحاس، **شرح القصائد التسع المشهورات**، مرجع سابق، ج١، ص٤٤٣.

قال أبو جعفر وهو يشرح هذا البيت من قصيدة لبيد: "في هذا البيت حذف لعلم السامع والمعنى سنت لهم آباؤهم الجود والمعروف؛ لأن السنة تكون في الخير والشر إلا أنه قد عرف المعنى. وقوله: ولكل قوم سنة: يعني طريق، و"السنة" الطريق والأمر الواضح، والمسنون منه، قال الله جل وعز: ﴿مِّن حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]؛ أي مصبوب" وما يستفاد هنا من كلام أبي جعفر هو دلالة الوضوح بالإضافة إلى دلالة الاتباع المشار إليها في تعريف الطبري. انظر:

- المرجع نفسه، الموضع نفسه.

(٤) الزمخشري، **أساس البلاغة**، مرجع سابق، ج١،ص٤٧٨.

(٥) ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، مادة (أم).

(٦) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: عبد الغفور عطا، بيروت: دار العلم للملايين، ط٢، (١٣٣٩هـ/ ١٩٧٩م)، مادة (أ م).

(٧) ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، مادة: سنن.

والمصبوب على مثال وصورة، "وبنى القوم بيوتهم على سنن واحد؛ أي على مثال واحد"[(١)] لتضاف هنا دلالة ثالثة وهي دلالة الاتباع. وهذه الدلالات الثلاث: الابتداء والقصد والاتباع هي الأصل في تعريف الطبري (توفي ٣١٠هـ) وغيره السنة بالمثال المتبع والإمام المؤتم به،[(٢)] وهذه الدلالات الثلاث هي الأولى بالتقديم، لكني آثرت تقديم تعريف الطبري فيما سيأتي من الدلالة الاصطلاحية لشيوعه وذيوعه، مع التنبيه على المعنى الأصلي لهذا التعريف وعدم اعتباره تعريفاً معيارياً مركزياً حتى لا تغيب الدلالات الأخرى المتعلقة بالجريان والاطراد والوضوح،[(٣)] فيحصر معنى السنة في مثال متبع بما يفيد السكون، وهو ما يقابل الحركة التي هي مدلول الجريان وهو حقيقة لفظ السنة.

- والسنة بمعنى الوجه وصورته[(٤)] وصفحته ودائرته، و تدل على الصقالة والملاسة والأسالة، وهي مرتبطة بمعنى الوجه، يقال: سنَّ الشيء يَسُنُّهُ سناً، وسنَّنَه؛ أي: صقله وزينه.

---

(١) المرجع السابق، مادة: سنن.

(٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: صدقي جميل العطار، بيروت: دار الفكر، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ج٤، ص١٠٠.

(٣) الزمخشري، **أساس البلاغة**، مرجع سابق، ج١، ص٤٧٩.

قال: "استنت الطرق: وضحت، قال (من البسيط):

ولو شهدت مقامي بالحسام على ... حد المسناة حيث استنت الطرق

(٤) بهذا المعنى فسر الأعلم الشنتمري بيت أبي تمام:

غيداء جاد ولي الحسن سنتها ... فصاغها بيديه روضة أنفا

فقال "الغيداء: الطويلة العنق، والولي: مطر الوسمي، والسنة: الوجه، والأنف: التي لم ترع بعد." انظر:

- الأعلم الشنتمري، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى. **شرح ديوان أبي تمام**، دراسة وتحقيق: ابراهيم نادن، الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (٢٠٠٤م/ ١٤٢٥هـ)، ج١، ص٤٠٩.

قال في اللسان: والسنة: الوجه، لصقالته وملاسته، وقيل هو حُرُّ الوجه، وقيل دائرته،... وسن المنطق حسنه فكأنه صقله وزينه،[1] وبهذا المعنى وردت في أشعار العرب، قال الأعشى (توفي ٧هـ):

كـــريماً شـــمائله مـــن بنـــي معاويـــة الأكـــرمين الـــسُّنن

حيث أراد بقوله: (الأكرمين السُّنن) الأكرمين الوجوه، فـ (السنن) الوجوه، و(السنن) جمع سنة، وقال ذو الرمة (توفي١١٧هـ):

تُريـك سـنة وجـه غـير مُقرفـةٍ ملـساء لـيس بهـا خـالٌ ولا نـدبُ

حيث أراد بقوله "تريك سنة وجه" تريك دائرة وجهها، وقال ثعلب (توفي ٢٩١هـ):

بيـــضاء في المـــرآة سُـــنَّتها في البيـت تحـت مواضـع اللمـس

حيث أراد بقوله: (في المرآة سنتها): في المرآة صورتها.[2]

وهذا المعنى متصل بالجريان والاطراد والحركة، فلا يتحقق صقل الوجه أوالسكين، أو تزيين الصورة إلا باطراد فعل الإحداد (سن السكين أحده) والتحسين، وجريانه في سهولة ابتداء وقصداً واتباعاً.

---

(١) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد. **العين**، تحقيق: عبد الله درويش، بغداد: مطبعة العاني، (١٩٦٧م/ ١٣٨٦هـ)، باب السين والنون. وانظر أيضاً:

- ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، مادة سنن.

- الزبيدي، **تاج العروس**، مرجع سابق، مادة سنن.

(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، ج١٣، ص٢٢٤. وانظر أيضاً:

- الزبيدي، **تاج العروس**، مرجع سابق، مادة سنن.

- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. **القاموس المحيط**، بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ج٤، ص٢٣٩.

- مجمع اللغة العربية. **المعجم الوسيط**، استانبول: دار الدعوة، ١٩٨٩م، ج١، ص٤٥٦-٤٥٥.

– والسنة بمعنى العناية بالشيء ورعايته. يقال: سن الإبل، إذا أحسن رعايتها والعناية بها والقيام عليها حتى كأنه صقلها.

والفعل الذي داوم عليه النبي ﷺ سمي سنة بمعنى: أنه ﷺ أحسن رعايته وإدامته.[1] وهذا المعنى ظاهر في اتصاله بدلالة الجريان والاطراد والدوام.

– والسنة بمعنى الأمة. نقله القرطبي (توفي ٦٧١هـ) عن المفضل، وأنشد:

ما عاين الناس من فضل كفضلهم ولا رأوا مثلهم في سالف السنن[2]

وقد سبقت الإشارة إلى اشتراك لفظ السنة ولفظ الأمة في معنى القصد والوجهة والنهج.[3]

– والسنة بمعنى البيان، يقال: سن الأمر، أي: بينه، وسن الله أحكامه للناس: بينها.[4]

– والسنة بمعنى الطبيعة، جاء في اللسان، والسنة: الطبيعة،[5] وذكر

---

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، مادة سنن. وانظر أيضاً:

– الزبيدي، **تاج العروس**، مرجع سابق، مادة سنن.

وقد مر بنا هذا المعنى في قول الرازي في تفسيره. انظر:

– صفحة (٤٢) من هذا الكتاب.

(٢) ذكر ذلك القرطبي وأبو حيان. انظر:

– القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. **الجامع لأحكام القرآن**، بيروت: دار الفكر، (د. ت.)، ج٤، ص٢١٦.

– أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي. **تفسير البحر المحيط**، تحقيق: عادل أحمد وعلي معوض، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، ج٣، ص٥٦.

(٣) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مرجع سابق، مادة سنن.

(٤) ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، مادة سنن. وانظر أيضاً:

– الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مرجع سابق، مادة سنن، ج٤، ص٢٣٨.

(٥) ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، مادة سنن.

obeikandl.com

الفيروزآبادي (توفي: ٨١٧هـ) أن السنة هي السيرة والطبيعة،[١] وكأنهما لاشتراكهما في الاستمرار والدوام، ومنه برز معنى آخر للسنة وهو العادة، ولذلك شاع في كتب التفسير والأصول شرح السنة بالعادة، قال العضد الإيجي (توفي ٧٥٦هـ) وكثير من علماء الأصول: "السنة لغة: الطريقة والعادة"[٢] وفي التعريفات للجرجاني (توفي ٨١٦هـ) قوله: "السنة في اللغة الطريقة مرضية كانت أو غير مرضية، والعادة"[٣] وليس في معاجم اللغة التصريح: بأن السنة هي العادة، ولا بأن العادة هي الطريقة أو السيرة أو الطبيعة، لكن معاني العادة تفيد معنى الاستمرار والدوام، فكأن من فسر السنة بالعادة استحضر هذا المعنى، لكن الأمر ليس على إطلاقه. وقد تنبه لذلك أبو هلال العسكري في كتابه "الفروق اللغوية" إذ فرق بين السنة والعادة: "بأن العادة: ما يديم الإنسان فعله من قبل نفسه، والسنة تكون على مثال سبق."[٤]

ومن خلال ما سبق يمكن تسجيل الملحوظات الآتية:

- يعبر الجذر اللغوي"سن" عن ثراء وخصوبة اشتقاقية، وقد ضربت صفحاً عن ذكر اشتقاقات أخرى لحصول المقصود وهو وضع لفظ السنة في إطاره الدلالي العام الذي يعبر عنه الجذر اللغوي ككل.
- دوران معنى لفظ السنة في الدلالة المعجمية اللغوية على أصل دلالي جامع هو: الجريان والاطراد، ثم تفرعت منه أصول دلالية ترجع كلها إلى أصل الجريان نجملها في الآتي:

---

(١) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مرجع سابق، مادة سنن.

(٢) الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن. **شرح مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه**، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، ج١، ص٢٢٧.

(٣) الجرجاني، علي بن محمد. **التعريفات**، تحقيق: ابراهيم الأبياري، بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ص١٦١.

(٤) العسكري، **الفروق اللغوية**، مرجع سابق، ص٢٢٦.

- الاستقامة والدوام.
- التوالي والسهولة.[1]
- الوضوح[2] والنهج والبيان.
- القصد والوجهة والابتداء.
- السيرة والطريقة والمثال.
- الطبيعة والعادة.
- الوجه والصورة والصقالة.
- الإحسان والرعاية.

---

(١) وفي حديث بول الأعرابي في المسجد "فدعاَ بدَلو من ماء فشَنَّه عليه." انظر:

- القشيري، مسلم بن الحجاج. **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د. ت.)، كتاب: الطهارة، باب: وجوب غسل البول ...، ج١، ص٢٣٦، حديث رقم ٢٨٥.

(٢) وكأن النجوم بين دجاها سنن لاح بينهن ابتداع

قال السكاكي (توفي ٦٢٦هـ): "فإنه حين رأى ذوي الصياغة للمعاني شبهوا الهدى والشريعة والسنن وكل ما هو علم بالنور، لجعل صاحبها في حكم من يمشي في نور الشمس فيهتدي إلى الطريق المعبد، فلا يتعسف فيعثر تارة على عدو قتّال، ويتردى أخرى في مهواة مهلكة، وشبهوا الضلالة والبدعة وكل ما هو جهل بالظلمة، لجعل صاحبها في حكم من يخبط في الظلماء فلا يهتدي إلى الطريق، فلا يزال بين عثور وبين تردد: قصد في تشبيه هذا تفضيل السنن في الوضوح على النجوم، وتنزيل البدع في الإظلام فوق الدياجي." انظر:

- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي. **مفتاح العلوم**، تحقيق: نعيم زرزور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٣م، ص٣٤٣.

ومنه أيضاً قول الشاعر:

وَلِلْعُقُولِ قُوًى تَسْتَنُّ دُونَ مَدًى إِنْ تَعْدُهَا ظَهَرَتْ فِيهَا اضْطِرَابَاتُ

أورد هذا البيت الشاطبي. انظر:

- الشاطبي، أبو إسحق إبراهيم بن موسى. **الموافقات في أصول الشريعة**، تحقيق: عبد الله دراز، القاهرة: دار الحديث، (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ج٢، ص٣٢٣.

obeikandl.com

وهي معان متحدة أو متقاربة تحمل طابع الحيوية والفعل والحركة الموجهة القاصدة، وإن غلب على اللفظ معنى الطريقة والسيرة.

إن لفظ السنة في دلالته اللغوية الأصلية الأساسية مأخوذ من "السن" بمعنى الجريان والاطراد والإرسال والاستقامة، ثم استعمل بعد ذلك في كل ما يطرد ويدوم؛ فاستعمل في البيان والوضوح من حيث إنه يجري على شكل واحد بيّن، واستعمل في الوجه والصورة من حيث صقالتهما حتى لو وضع الماء عليهما لجرى في سهولة، واستعمل في الطبيعة والعادة لإفادتهما الاستمرار والدوام، واستعمل في القصد والوجهة، لأن تحققهما لا يكون إلا عن اطراد وجريان الفعل المحقق للقصد والوجهة، واستعمل في السيرة و الطريقة والمثال؛ لأنها معان دالة على توالي الفعل وجريانه على نهج واحد كالشيء المصبوب.

ومما يستفاد من كلام ابن فارس أن الجريان والاطراد هو الأصل في دلالة لفظ السنة، ثم تولدت عنه أصول دلالية أخرى وتفرع بعضها عن بعض، فتولد عن الجريان والاطراد معنى الوجه والصورة، ثم تحول هذا الفرع إلى أصل لتتفرع منه معاني الصقالة والوضوح والبيان، ثم ما لبث أن صار هذا الفرع أصلاً لمعنى جديد تولد عنه هو الدوام والسهولة والتوالي، وبعد ذلك صار هذا الفرع أصلاً لمعنى أصبح فيما بعد هو الأبرز وهو معنى السيرة والطريقة والمثال. لنجد أنفسنا أمام تشعبات دلالية تتنامى بحسب المجال المعرفي والسياق الاجتماعي والتاريخي الذي يوظف داخله هذا اللفظ.

٢- الدلالة الاصطلاحية العامة للفظ "السنة":

مصطلح السنة -في الاصطلاح العام- واحد من المصطلحات التي اكتست طبيعة خاصة بحكم ارتباطها بالإرادة والفعل الإلهيين، وتعلقها بالتصرفات النبوية من جهة الأدلة والأحكام. وإذا كان هذا الأمر الأخير قد أثار نقاشاً واسعاً قديماً وحديثاً حول تحديد مفهوم السنة النبوية بين المحدثين والفقهاء والأصوليين عبر أزمنة مختلفة، فإن هذا

الأمر لم يحصل بالكيفية نفسها مع مفهوم سنة الله كما وردت في القرآن الكريم، بخلاف المفسرين الذين أسهموا في بيان المقصود من سنة الله من خلال تناولهم للآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر لفظ السنة. وليس قصدي هنا تتبع جل التعريفات الاصطلاحية لمصطلح السنة، بل محاولة الوقوف على أهم تلك التعاريف وتصنيفها، والكشف عن حجم الاختلاف فيما بينها من جهة الاختصاص والسياق التاريخي، وهو ما يسمح لنا بمعرفة التطور الدلالي لمصطلح السنة، ومدى تعلقه بالدلالة المعجمية اللغوية أو انزياحه عنها؛ على أن في الدلالة الاصطلاحية الشرعية زيادة معنى غير الذي تكون قد حصرته الدلالة اللغوية، وقد أشار إلى ذلك غير واحد من علماء اللغة مثل ابن فارس،[1] ومن الأصوليين مثل تقي الدين السبكي (توفي: ٧٥٦هـ).[2] ثم إن الوقوف بالتفصيل عند تحديدات المحدثين والفقهاء والأصوليين لمعنى السنة قد امتلأت بها مؤلفات هؤلاء، وهي معلومة لدى الباحثين بتفريعاتها وجزئياتها، وكثير ممن بحث من المعاصرين في موضوع السنن سواء الاجتماعية منها أم الكونية (بحسب ما جرى عليه تصنيفهم) استفاض في ذكر هذه التعريفات، ولا تعلق لها البتة بموضوع دراستهم ولا بمفهوم السنن الذي عليه مدار بحثهم وبحثنا، وهو ما يقتضي منا أخذ هذه الملاحظة بعين الاعتبار مع التفصيل في كلام المفسرين حول تعريف السنة في القرآن.

ويمكن القول: إن انصراف المحدثين والفقهاء والأصوليين إلى تحديد مفهوم السنة مرتبط بمسألة التأسي والاقتداء بسنة الرسول ﷺ: وذلك من حيث ضبط

---

(١) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، علق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ص٤٥-٤٦.

(٢) قال السبكي: "إن الأصوليين دققوا في فهم أشياء من كلام العرب لم يصل إليها النحاة ولا اللغويون، فإن كلام العرب متسع جداً، والنظر فيه متشعب، فكتب اللغة تضبط الألفاظ ومعانيها الظاهرة دون المعاني الدقيقة التي تحتاج إلى نظر الأصول، واستقراء زائد على استقراء اللغوي... " انظر:

- السبكي. تقي الدين علي بن عبد الكافي. وابن السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي. **الإبهاج في شرح المنهاج**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٤م، ج١، ص٧.

مجالات هذا التأسي ومراتبه وأحكامه،[1] مع التحقق من صحة ورودها عن النبي ﷺ سواء كانت قولاً أم فعلاً أم تقريراً، أم ما تعلق بصفة خلقية أوخلقية وهو عمل المحدثين، وبيان حكمها وهو عمل الفقهاء، وبيان جهة مصدريتها، ودلالتها وقصد التشريع والاقتداء بها، وهل صدرت عن النبي ﷺ من مقام التشريع أم من مقام آخر وهو عمل الأصوليين.

أ- تعريفات المفسرين والقدماء:

تعددت أقوال المفسرين في تحديد معنى السنة بحسب سياق الآية وكذا الصيغة التي ورد بها لفظ السنة. والوقوف على معنى السنة كما وردت في القرآن لدى المفسرين يقتضي تتبع جميع أقوالهم في تحديدهم لهذا المعنى عبر آيات القرآن الكريم بمختلف الصيغ التي ورد بها لفظ السنة، و لئن لم يفصل جل المفسرين في معنى السنة ودرجوا على تكرار بعض المعاني دون الإحاطة بالمعنى الاجتماعي والحضاري لمفهوم السنة، مع وجود إشارات لا يمكن إنكارها لدى بعضهم، إلا أن تتبع تعريفاتهم يسعفنا في تحديد

---

(١) ربط الفقهاء والأصوليون والمحدثون الأوائل معنى السنة بطريقة النبي ﷺ وما داوم عليه، وهو المقصود بالاقتداء. ولذلك ذهب من ذهب إلى أنه ليس كل ما صدر عن النبي يعد سنة، وهو ما كان عليه فهم بعض الصحابة، مثل قول ابن عباس عن الرمل بالبيت: "ليس بسنة." انظر:

- السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث. **سنن أبي داود**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وغيره، دمشق: دار الرسالة العالمية، ط١، (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، في كتاب: المناسك، باب: في الرمل، ج٣، ص٢٦٩، حديث رقم: ١٨٨٥، وصححه الأرناؤوط.

- القشيري، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، في كتاب: الحج، باب: استحباب الرمل في الطواف والعمرة، ج٢، ص٩٢١، حديث رقم: ١٢٦٤.

وقول عائشة: "نزول الأبطح ليس بسنة، إنما نزله رسول الله ﷺ؛ لأنه كان أسمح لخروجه إذا خرج." انظر:

- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ، كتاب: الحج، باب: المحصب، ج٣، ص٥٩١، حديث رقم: (١٦٧٦).

- القشيري، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، كتاب: الحج، باب: استحباب النزول بالمحصب يوم النفر والصلاة به، ج٢، ص٩٥١، حديث رقم: ١٣١١.

ملامح رؤيتهم لمعنى السنة في القرآن، مع الإشارة إلى أن بعض التفاسير المعاصرة كانت أكثر وضوحاً ودقة في تناول مفهوم السنة في القرآن مثل "تفسير المنار" الذي هو "حقيق به أن يسمى بالتفسير السنني والتربوي، الذي يعكس منظومة مفاهيمية ومعرفية وسلوكية وقيمية قادرة على أن تزكي وعي الإنسان وفعاليته"[(١)] و"في ظلال القرآن" لسيد قطب، و"تفسير الميزان" للطبطبائي، و"التحرير والتنوير" للطاهر بن عاشور.

- تعريف ابن جرير الطبري (توفي: ٣١٠هـ):

قال الطبري في تفسير قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [آل عمران: ١٣٧]: "مضت وسلفت مني فيمن كان... من سالف الأمم قبلكم سنن، يعني مَثُلات، سير بها فيهم، وفيمن كذبوا بأنبيائهم الذين أرسلوا إليهم، بإمهالي أهل التكذيب واستدراجي إياهم حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله الذي أجلته، لإدالة أنبيائهم وأهل الإيمان بهم عليهم،... فتركتهم لمن بعدهم أمثالاً وعبراً"[(٢)] وقال أيضاً: "السنة بمعنى المثال المتبع والإمام المؤتم به."[(٣)]

- تعريف أبي جعفر النحاس (توفي: ٣٣٨هـ):

قال أبو جعفر النحاس في تفسيره لآية النساء: "أي طرق الأنبياء والصالحين قبلكم لتتبعوها."[(٤)]

---

(١) عبد الفتاح، سيف الدين. "رؤية العالم عند الأستاذ الإمام"، **مجلة المسلم المعاصر**، العدد (١١٩-١٢٠)، السنة (٣٠)، (٢٠٠٦م/ ١٤٢٦هـ)، ص٩٢.

(٢) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مرجع سابق، ج٧، ص٢٢٨.

ويورد الطبري مع هذا التفسير من قال من السلف بذلك ومنهم: الحسن، ومجاهد، وقتادة، وابن إسحاق.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، مادة سنن. وانظر أيضاً:

- الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مرجع سابق، ج٧، ص١٠٠.

(٤) النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد. **معاني القرآن الكريم**، تحقيق: محمد علي الصابوني، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ط١، (١٩٨٨م/ ١٤٠٩هـ)، ج٢، ص٦٨.

- **تعريف أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (توفي: ٤٣٧هـ):**

قال أبو محمد القيسي في تفسيره لآية [آل عمران:١٣٧]: "المعنى قد مضت وسلفت مني فيمن كان قبلكم يا أصحاب محمد سنن وسير نحوك إهلاك عاد وثمود... وأصل السنة الطريقة المستقيمة، وقيل"سنن" هنا أمثال فيمن كان قبلكم."[(١)]

- **تعريف الراغب الأصفهاني (توفي: ٥٠٢هـ):**

قال الراغب: "وسنة النبي طريقته التي كان يتحراها، وسنة الله تعالى قد تقال لطريقة حكمته وطريقة طاعته نحو ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾﴾ [الفتح: ٢٣]، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر: ٤٣] فتنبيه أن فروع الشريعة، وإن اختلفت صورها فالغرض المقصود منها لا يختلف ولا يتبدل؛ وهو تطهير النفس وترشيحها للوصول إلى ثواب الله تعالى وجواره."[(٢)]

- **تعريف ابن تيمية (توفي: ٧٢٨هـ):**

قال ابن تيمية: "السنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الأول، ولهذا أمر سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بالاعتبار وقال: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [يوسف:١١١]، والاعتبار أن يقرن الشيء بمثله فيعلم أن حكمه مثل حكمه (...) فإذا قال ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢] وقال: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [يوسف:١١١]، أفاد أن من عمل مثل أعمالهم جوزي مثل جزائهم ليحذر أن يعمل مثل أعمال الكفار، وليرغب في أن يعمل مثل أعمال المؤمنين أتباع الأنبياء. قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ

---

(١) القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب. **الهداية إلى بلوغ النهاية**، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الشارقة: جامعة الشارقة، ط١، (٢٠٠٨م/ ١٤٢٩هـ)، ج٢، ص١١٣٣.

(٢) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل. **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة، (د.ت.)، كتاب السين، ص٢٤٥

﴿١٣٧﴾ [آل عمران: ١٣٧] وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [الإسراء: ٧٦-٧٧] وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الأحزاب: ٦٠-٦٢]."[(١)]

- تعريف ابن القيم (توفي ٧٥١هـ):

قال ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " سنته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عادته المعلومة."[(٢)]

- تعريف أبي حيان (توفي ٧٤٥هـ):

قال أبو حيان في تفسيره لآية آل عمران: "وقال الزجاج: أهل سنن أي طرائق أو أمم، على شرح المفضل أنّ السنة الأمة. وقال الحسن: سنة أقضية في إهلاك الأمم السالفة عاد وثمود وغيرهم. وقال ابن زيد: أمثال. وقال ابن عباس: وقائع وطلب السير في الأرض، وإن كانت أحوال من تقدّم تدرك بالأخبار دون السير. لأن الأخبار إنما تكون ممن سار وعاين،... والمعنى: ما سنه الله في الأمم المكذبين من وقائعه كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت:٤٠] ﴿وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ [الأحزاب:٦١-٦٢] وفي هذه الآية دلالة على جواز السفر في فجاج الأرض للاعتبار، ونظر ما حوت من عجائب مخلوقات الله تعالى، وزيارة الصالحين وزيارة الأماكن المعظمة كما يفعله سيّاح هذه الملة، وجواز النظر في كتب المؤرخين؛ لأنها سبيل إلى معرفة سير العالم وما جرى عليهم من المثلاث"[(٣)] وقال أبو حيان أيضاً: "والسنن:

---

(١) الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية. **مجموع الفتاوى**، ترتيب: عبد الرحمن العاصمي النجدي وابنه محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ، ج١٣، ص٦٩.

(٢) ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي. **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، تحقيق: الحساني عبد الله، القاهرة: دار التراث، ١٩٩٥م، ص٤٠٨.

(٣) أبو حيان الأندلسي، **تفسير البحر المحيط**، مرجع سابق، ج٣، ص٦٦.

openkanal.com

جمع سنة، وهي الطريقة. واختلفوا في قوله: سنن الذين من قبلكم، هل ذلك على ظاهره من الهداية لسننهم؟ أو على التشبيه؟ أي: سنناً مثل سنن الذين من قبلكم. فمن قال بالأول أراد أنّ السنن هي ما حرم علينا وعليهم بالنسب والرضاع والمصاهرة. وقيل: المراد بالسنن ما عنى في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣] وقيل: المراد بها ما ذكره في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ [الشورى:١١] وقيل: طرق من قبلكم إلى الجنة. وقيل: مناهج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين، والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم، وهذا قريب مما قبله. وعلى هذه الأقوال فيكون الذين من قبلكم المراد به الأنبياء وأهل الخير. وقيل: المراد بقوله سنن طرق أهل الخير والرشد والغي، ومن كان قبلكم من أهل الحق والباطل، لتجتنبوا الباطل، وتتبعوا الحق. والذين قالوا: إنّ ذلك على التشبيه قالوا: إن المعنى أنّ طرق الأمم السابقة في هدايتها كان بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وبيان الأحكام، وكذلك جعل طريقكم أنتم. فأراد أن يرشدكم إلى شرائع دينكم وأحكام ملتكم بالبيان والتفصيل، كما أرشد الذين من قبلكم من المؤمنين. وقيل: الهداية في أحد أمرين: أما إن خوطبنا في كل قصة نهياً أو أمراً كما خوطبوا هم أيضاً في قصصهم، وشرع لنا كما شرع لهم، فهدايتنا سننهم في الإرشاد، وإن اختلفت أحكامنا وأحكامهم. والأمر الثاني: أنّ هدايتنا سننهم في أن سمعنا وأطعنا كما سمعوا وأطاعوا، فوقع التماثل من هذه الجهة. والمراد بالهداية هنا الإرشاد والتوضيح، ولا يتوجه غير ذلك بقرينة السنن."[1]

- تعريف ابن منظور:

قال ابن منظور: "فسنة الله: أحكامه، وأمره، ونهيه سنها الله للناس أي بينها"[2] فهي بمعنى الدين[3] أيضا.

---

(١) المرجع السابق، ج٣، ص٢٢٥ - ٢٢٦.

(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، مادة سنن.

(٣) شرح الشنتمري لفظ "السنن" بـ"دين الإسلام" في بيت أبي تمام: =

- **تعريف ابن كثير (توفي: ٧٧٤هـ):**

قال ابن كثير في تفسيره لآية [الأحزاب: ٣٨]: "سنة الله... أي حكم الله تعالىٰ في الأنبياء قبله"[١] ويقول في تفسير لآية الفتح: " أي هذه سنة الله وعادته في خلقه."[٢]

- **تعريف الشوكاني:**

قال الشوكاني في تفسيره لآية [الفتح: ٢٣]: "وهي طريقته وعادته التي قد مضت في الأمم من نصر أوليائه علىٰ أعدائه ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ [الفتح: ٢٣]؛ أي لن تجد لها تغييراً، بل هي مستمرة ثابتة"[٣] وقال في تفسيره لآية آل عمران: "المراد بالسنن ما سنه الله في الأمم من وقائعه: أي قد خلت من قبل زمانكم وقائع، سنها الله في الأمم... وأصل السنن: جمع سنة وهي الطريقة المستقيمة."[٤]

- **تعريف ابن عاشور:**

قال ابن عاشور في تفسير قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧﴾ [آل عمران: ١٣٧]: "استئناف ابتدائي: تمهيد لإعادة الكلام علىٰ ما كان يوم أحد، وما بينهما استطراد، كما علمت آنفاً، وهذا مقدمة التسلية والبشارة الآتيتين. ابتدئت هاته المقدمة بحقيقة تاريخية: وهي الاعتبار بأحوال الأمم الماضية... والسنن جمع سنة بضم السين وهي السيرة من العمل أو الخلق... وفسروا السنن هنا بسنن الله في الأمم الماضية. والمعنىٰ: قد مضت من قبلكم أحوال للأمم،

= أن لست نعم الجار للسنن الألىٰ إلا إذا ما كنت بئس الجار

- الأعلم الشنتمري، **شرح ديوان أبي تمام**، مرجع سابق، ج١، ص٣٤٢.

(١) ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر. **تفسير القرآن العظيم**، بيروت: دار ابن حزم، ط١، (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ج٣، ص٤٩٢

(٢) المرجع السابق، ج٤، ص١٩٢.

(٣) الشوكاني، محمد بن علي. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، القاهرة: مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي، ط٢، ١٣٨٣هـ، ج٥، ص٥٣.

(٤) المرجع السابق، ج١، ص٣٨٣-٣٨٤.

جارية على طريقة واحدة، هي عادة الله في الخلق، وهي أن قوة الظالمين وعتوهم على الضعفاء أمر زائل، والعاقبة للمتقين المحقين"[1] وقال في تفسيره لقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨﴾ [الأنفال: ٣٨] "العادة المألوفة والسيرة... وهذا الخبر تعريض بالوعيد بأنهم سيلقون ما لقيه الأولون."[2]

استنتاجات:

- اختلفت تحديدات المفسرين للسنن بحسب ما أضيف إليها: فسنة الله هي أحكامه وأوامره ونواهيه التي سنها الله لعباده، وهي أيضاً عادته المعلومة وطريقته في معاملة البشر ونظامه الذي أقام عليه كل شيء. وسنة الرسل طرائقهم ومناهجهم التي كانوا يتحرونها بحسب ما أوحى الله تعالى إليهم. وسنة الأولين وقائع وأمثال وأحوال جرت بحسب مشيئة الله جزاء أو عقاباً أو إهلاكاً.

- تناولت التفاسير مفهوم السنة في غياب الوحدة الموضوعية والسياقية والبنائية لموارد لفظ السنة في القرآن الكريم، وهو ما جعل كثيراً من المفسرين يكتفون باعتماد الدلالة اللغوية في فهم معنى السنة، وكان أكثر ما فسروا به السنة أنها الطريقة والمثال والعادة، مكتفين بإيراد نفس التعريف في آيات أخرى دون استحضار تجدد السياق العام لهذه الآيات، وبالنظر في الآية وحدها فقط دون النظر في بقية الآيات الأخرى، مما أفضى إلى نظر جزئي لم يرق إلى اعتبار السنن مفهوماً كلياً ومنظومة متكاملة، وأدى ذلك إلى عدم إدراك الرؤية القرآنية للسنن.

- لم يلحظ كثير من المفسرين الأبعاد التاريخية والحضارية للسنن ومستوياتها الوظيفية في التحكم التسخيري معرفة واستثماراً لخوض معتركات الابتلاء والتداول والتدافع والتجديد، مما أفقد الأمة فرصاً وإمكانات لمواجهة تحديات حضارية حيث

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج٤، ص٩٥ - ٩٧.

(٢) المرجع السابق، ج١٠، ص٣٤٦.

إنها غفلت عن فقه السنن. ولم تستطع حينها فتاوى ابن تيمية ورسالته، وصواعق ابن القيم ومدارجه، واعتصام الشاطبي وموافقاته، ومقدمة ابن خلدون وتاريخه، أن تحقق الاستدراك وتقي الأمة من فقدان قيادتها للعالم.

– نتج عن ذلك اختلال معرفي ومنهجي تجلى في غياب رؤية سننية كلية تستمد مرجعيتها من القرآن والتطبيقات النبوية، تفسر وتحلل حركة الفعل التاريخي والتداول الحضاري، فيكون ذلك وقاية للأمة من السقوط، دون إنكار لإشارات هامة لدى بعض علماء الأمة ممن تصدوا لتفسير القرآن الكريم تدل على نضج وعيهم بقضية السنن في حركة التسخير والاستخلاف والعمران، ولكن ذلك لم يشكل تياراً عاماً أو مدرسة قائمة بذاتها.

– يؤسس ابن تيمية بحثه الاصطلاحي للفظ "السنة" على المعنى أو الأصل اللغوي، مركزاً حديثه عن البعد الاجتماعي التاريخي للسنن، مبرزاً مواصفات السنن وخصائصها مثل: التناظر والاطراد والتماثل،[1] والصرامة والدقة، والعلاقة الترابطية السببية القائمة على وقوع النتائج متى توافرت الأسباب واستجمعت الشروط وانتفت الموانع. منبها على حقيقة كبرى وهي أن أصل الاعتبار قائم على وجود السنن، فلا معنى لتحقق الاعتبار ما لم يتأسس النظر الإنساني على البحث في السنن واكتشافها وتسخيرها.

ب– تعريفات المعاصرين:

نعرض فيما يأتي جملة من تعريفات المعاصرين ممن كانت لهم إشارات في موضوع السنن، وقد اخترنا ثمانية عشر تعريفاً، أردفنا كلاً منها بتعليق وتحليل يقتضيه البيان.

– تعريف محمد عبده:

"والسنن هي الطرائق الثابتة التي تجري عليها الشؤون، وعلى حسبها تكون الآثار، وهي التي تسمى شرائع أو نواميس ويعبر عنها قوم بـ"القوانين" مالنا

(١) هذه المعاني التي ذكرها ابن تيمية بوصفها مواصفات وخصائص للسنن هي في حقيقتها مضمنة في الأصل اللغوي"الجريان".

باختلاف العبارات."[1]

يعد محمد عبده من أوائل من نبه إلى مسألة السنن في بداية القرن العشرين من خلال تفسيره للقرآن وبعض نصوصه في مقالات ومؤلفات. وقد أشار إلى معنى السنة وهو يفسر بعض الآيات ويحلل أوضاع الأمة وما آلت إليه أحوالها. وهذا التعريف الذي أورده في كتابه "الإسلام دين العلم والمدنية" يميز فيه بين السنن التشريعية وهي "الشرائع" أو "الطرائق الثابتة التي تجري عليها الشؤون" فهذه هي السنن الهادية للإنسان فرداً وجماعة للقيام بوظيفته الاستخلافية، والسنن الكونية وهي "النواميس" أو الطرائق الثابتة التي "على حسبها تكون الآثار" وهذا ما أشار إليه عبده في مقدمة تفسير المنار بقوله: "أجمل القرآن الكلام عن الأمم، وعن السنن الإلهية، وعن آياته في السماوات والأرض، وفي الآفاق والأنفس، وهو إجمال صادر عمن أحاط بكل شيء علماً،"[2] كما نلحظ استناد عبده في هذا التعريف على جهود المفسرين وأهل اللغة، مبرزاً البعد التعليلي الغائي للسنن، ومشيراً إلى خاصية من خصائصها وهي خاصية الثبات.

- تعريف علي شريعتي (توفي: ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٧م):

"والمراد من السنة، مجموعة النواميس العلمية المدخرة في صميم الإنسان، بوصفها شعوراً وبنية "فسلجية"، وفي صميم المجتمع كسيرة وعلاقات."[3]

ينظر هذا التعريف إلى السنن نظرة كلية موضوعية، فإذا كانت السنن تحيل على نواميس وقوانين، فإن هذه الأخيرة ينظر إليها شريعتي بوصفها وحدة كلية ومنظومة متكاملة ذات طابع علمي منطقي وترتبط بدائرتين اثنتين: دائرة الإنسان الكائن الفرد

---

(١) عبده، محمد. **الإسلام دين العلم والمدنية**، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)، ص١١١. وانظر أيضاً:

- عمارة، محمد. **الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده**، القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٣م، ج٥، ص٩٦.

(٢) رضا، محمد رشيد. **تفسير المنار**، بيروت: دار المعرفة، ط٢، (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، ج١، ص٢٣.

(٣) شريعتي، علي. **معرفة الإسلام**، بيروت: دار الأمير، ط٢، (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)، ص٨٧.

من حيث هو بنية مادية جسدية وبنية نفسية شعورية، وهي بنية لها سننها الخاصة. ودائرة الجسم الاجتماعي من حيث هو شبكة من الوقائع والعلاقات والارتباطات التي تحكمها هي أيضاً سنن خاصة بها. ويوضح أكثر شريعتي في تعريف ثان له طبيعة السنن فيقول: "السنن غير العادات والرسوم التي نفهمها من الكلمة في اللغة الفارسية، السنة في هذا المبحث بمعنى القوانين الاجتماعية والإنسانية الخارجة عن سلطة المؤرخ وعالم الاجتماع"[1] وكأنه يتجاوز هنا الدلالة اللغوية للسنن وإن كان كلامه في سياق الحديث عن اللغة الفارسية. فمكون السنن الأساس هو القوانين الاجتماعية والإنسانية التي تحكم حركة التاريخ والحضارات، التي لا يمكن أن تحيد عن موضوعيتها ونفاذها حتى إن سلطة المؤرخ وعالم الاجتماع لا يمكنها أن تزيف حقيقة السنن أو أن تصوغ سنناً مخالفة لطبائع العمران وإلا كانت بعيدة عن العلمية والموضوعية. وكأن شريعتي يشير ضمنياً إلى المجال العلمي التداولي للسنن وهو: التاريخ وعلم الاجتماع، بحكم ارتباط السنن بوقائع المجتمع وحركة التاريخ.

- تعريف عماد الدين خليل (ولد: ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م):

"السنن: مجموعة المبادئ الأساسية في حركة التاريخ البشري المستمدة من صميم التكوين الحدثي للعروض التاريخية."[2]

يؤسس هذا التعريف لرؤية حضارية كلية لمفهوم السنن، فالسنن ليست أجزاء منعزلة ولا يمكن الحديث عنها أفراداً وكأنها لا تربط فيما بينها روابط وعلاقات، وإنما هي أولاً مجموعة بما تدل عليه من تنوع عناصرها وتكامل أبعادها، وهذه العناصر والأبعاد عبر عنها عماد الدين خليل بالمبادئ، وهو ما يمنح السنن طابع الكلية والنسقية والدقة والغائية والنظام والاطراد من حيث إن مفهوم المبادئ دال على هذه المعاني. ويبدو أن تصور عماد الدين خليل لمفهوم السنن مرتبط أساساً بما يوجه حركة

(١) المرجع السابق، ص٨٩-٩٠.

(٢) خليل، عماد الدين. **التفسير الإسلامي للتاريخ**، بيروت: دار العلم للملايين، ط ٣، ١٩٨١م، ص٩٧.

التاريخ الإنساني وفق مسارات محددة ومنضبطة يمكن استقراؤها من خلال الظواهر والوقائع والحوادث التاريخية. ويعرف عماد الدين خليل السنن في موضع آخر بقوله: "السنن هي النواميس التي تسير حركة التاريخ وفق منعطفها الذي لا يخطئ، وعبر مسالكها المقننة التي ليس إلى الخروج عليها سبيل، لأنها منبثقة من صميم التركيب البشري ومعطياته المحورية الثابتة، فطرة وغرائز وأخلاقاً وفكراً وعواطف ووجداناً، ومن قلب العلاقات والوشائج والارتباطات الظاهرة والباطنة في العالم الذي يتحرك فيه الإنسان، والتي تتجاوز في اتساعها وشموليتها نسبيات البيئة الجغرافية، أو الوضع الاقتصادي، لكي تتسع للفعل التاريخي نفسه"[1] عبر هنا خليل عن المبادئ بـ"النواميس"، ثم حدد البعد الوظيفي للسنن في كونها تسير وتضبط منعطفات ومسالك حركة التاريخ المتعالية على الاعتباطية والعبثية، والمتناغمة مع طبيعة الكائن البشرى في مستوياته وأبعاده المختلفة: الفطرية والأخلاقية والفكرية والوجدانية، والمنسجمة مع الكون المادي الطبيعي بارتباطاته وقوانينه التي يخضع لها.

ولعل هذه الرؤية الرحبة لمفهوم السنن مكنت عماد الدين خليل من الإمساك بالبعد الوظيفي التكاملي والجمالي الوجداني والتاريخي الاجتماعي للسنن، وليس ذلك غريباً على رجل تعددت مصادره المعرفية وإنتاجاته العلمية؛ فهو رجل التاريخ ورجل الأدب ورجل الفكر ورجل الدعوة... وقد ساعده ذلك على التنبه لخاصية الاتساع والشمولية اللتين هما من خصائص السنن؛ فالسنن متسعة اتساع الفعل التاريخي، تمتد بامتداده عبر الزمان والمكان، رحبة رحابة عالم الشهادة، شاملة شمولية تركيبة الخلق البشري: فطرة وعقلاً وأخلاقاً وعاطفة ... وكل من الاتساع والشمولية في الفعل السنني التاريخي دال على تعالي هذا الفعل السنني عن المكان، فلا يرتبط ببيئة جغرافية محددة؛ إذ كل بيئة جغرافية هي بطبيعتها نسبية، ودال أيضاً على خاصية التجاوز لكل

---

(١) المرجع السابق، ص١٠٨. وانظر أيضاً:

- خليل، عماد الدين. **مدخل إلى الحضارة الإسلامية**، بيروت: المركز الثقافي العربي والدار العربية للعلوم، ط١، (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، ص٢٩.

الظرفيات الاقتصادية والاجتماعية لتشمل حركة الفعل التاريخي كله مما يقطع بكونها مطلقة وموضوعية وثابتة ومنضبطة ومطردة.

- تعريف أحمد محمد كنعان (ولد: ١٩٤٨م):

"فالسنن التي فطر الله عليها أمور خلقه هي إذن: مجموعة القوانين التي سنها الله عَزَّوَجَلَّ لهذا الوجود وأخضع لها مخلوقاته جميعاً على اختلاف أنواعها وتباين أجناسها."[(١)]

يؤكد هذا التعريف على طبيعة السنن ومرجعيتها وموضوعها (محلها) وبنيتها. فما يحدد طبيعة السنن هو كونها فطرية، ومعنى ذلك أن كل عناصر الوجود، إنما تتحرك وفق منظومة السنن لا تخرج عنها إذ هي ركبت في أصلها تركيباً سننياً لا تكون إلا به. ثم عمد بعد ذلك أحمد محمد كنعان إلى الإشارة إلى مرجع السنن ومصدرها وهو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ فهو خالق السنن، وهو الذي أرسل رسله وأنزل كتبه، لبيان تلك السنن، كما بين كنعان محل جريان هذه السنن وموضوعها وهو أمور الخلق التي تخضع على اختلاف أنواعها وتباين أجناسها لمجموع السنن التي خلقها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى. وانطلاقاً مما سبق يرى كنعان في مفهوم السنن الجانب القانوني الموضوعي الكلي، فالسنن هي تلك المجموعة من القوانين والأنظمة الإلهية المطردة التي أخضع الله لها كل مخلوقاته، فهي نافذة غلابة لا تحابي أحدا.

- تعريف عبد الكريم زيدان (ولد ١٩١٧):

"التعريف المختار لسنة الله: يلاحظ أن هذه الكلمة يدور معناها على معنى (الطريقة المتبعة) فيكون معنى (سنة الله) هي الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة... فهذا يعني أن معنى (السنة) هو معنى (القانون العام) من

---

(١) كنعان، أحمد محمد. **أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق**، سلسلة كتاب الأمة (٢٦)، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١١هـ، ص ٥٢.

حيث خضوع أفعال البشر وسلوكهم إلى أحكام هذه (السنة) التي يمكن تسميتها بالقانون العام."[1]

يبدو أن زيدان قد استند في بداية تحديده لمعنى سنة الله على دلالتها اللغوية بأنها الطريقة المتبعة، ثم أعقب ذلك بدلالة اصطلاحية لتتخذ السنة معنى القانون العام، وذلك لما بين السنة والقانون كما يرى عبد الكريم زيدان[2] من اتحاد على مستوى الخصائص: اطراداً ونفاذاً وثباتاً وعموماً. والناظر في تعريف زيدان يلمح بعدين أساسين: الأول يتعلق بسنة الله وأنها الجزاء المترتب على أفعال الإنسان وجهده اليومي مما يعني قيام مفهوم سنة الله على مبدأ السببية والعلاقة الترابطية بين الأسباب والنتائج، والثاني: خضوع الإنسان لنظام السنن وعدم قدرته على الخروج عنه وإلا سيتعارض ذلك مع القدرة الإلهية ومشيئتها المطلقة، لذلك فسنة الله يقول زيدان "قانونه الذي تجري بموجبه أحداث ووقائع البشر"[3] ورغم ما يبدو على تعريف زيدان من جدة فإنه تجدر الإشارة إلى ملحوظتين:

الأولى: استعماله للفظ القانون للدلالة على معنى السنة دون أن ينتبه للفوارق بين اللفظين على المستوى الدلالي العام لا سيّما أن لفظ القانون هنا يتخذ معنى علمياً متطوراً ونسبياً وهو ما لا ينطبق على دلالات لفظ السنة.

الثانية: أنه لم يسلك طريق التتبع والاستقراء لاستعمالات القرآن للسنة، ولم يشر إلى تعريفات سابقة عنه فحرم بذلك تحليله لقضية السنن من استثمار جهود السابقين والمعاصرين.

---

(١) زيدان، عبد الكريم. **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، ص ١٣-١٤.

(٢) المرجع السابق، ص٧ - ١٥ من مقدمة الكتاب.

(٣) المرجع السابق، ص١٥.

- تعريف إبراهيم بن علي الوزير (ولد ١٣٥١هـ):

"السنن هي: مجموع القوانين التي يسير وفقها الكون، والتي يستفيد منها الكائن الإنساني بما يؤهله: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣٠] فيسخرها ويستفيد منها، إنها نظم هذا الكون المفتوح بما فيه ومن فيه المسيرة له وفق ما أراده الخالق المبدع جل شأنه، مجالها الواسع: السماوات والأرض، والحياة والكون... والإنسان."[١]

تنطبق على هذا التعريف الملاحظة نفسها المشار إليها سابقاً وتتعلق دلالة مفهوم السنن على منظومة متكاملة من القوانين التي يسير وفقها الكون والحياة والإنسان تعبيراً عن الإرادة الإلهية المطلقة التي شاءت أن تعبر حركة الاستخلاف البشري من خلال التحكم المعرفي بالسنن﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣٠]، والاستثمار التسخيري لها "فيسخرها ويستفيد منها". ولعل جديد هذا التعريف هو ربطه السنن بوظيفة التأهيل الاستخلافي للإنسان، فلا تتحقق خلافة الإنسان إلا من خلال إحكامه للسنن معرفة واستثماراً.

- تعريف محمد هيشور:

"مجموعة القوانين التي يسير وفقها الوجود كله، وتتحرك بمقتضاها الحياة، وتحكم جزئياتها ومفرداتها فلا يشذ عنها مخلوق، وما في الكون ذرة أو حركة إلاَّ لها قانون وسُنّة،... وما من حركة نفسية أو اجتماعية أو نقلة حضارية، إلاَّ ولها قانون أيضاً يتجلى في الأسباب والعوامل المؤدية إليه... (و)كان الإنسان هو وحده المطالب بالبحث عن السنن ومعرفتها في الحياة... للاضطلاع بإعمار الأرض وأعباء الاستخلاف."[٢]

يحاول هذا التعريف الاقتراب أكثر من المفهوم الكلي للسنن، وهو كما يبدو أشمل من سابقيه، محاولاً الإفادة من التعريفات التي تقدمت عليه. ويتشكل -حسب هذا

---

(١) الوزير، ابراهيم بن علي. **على مشارف القرن الخامس عشر الهجري؛ دراسة للسنن الإلهية والمسلم المعاصر**، القاهرة: دار الشروق، ط٤، (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)، ص٧.

(٢) هيشور، محمد. **سنن القرآن في بناء الحضارات وسقوطها**، هرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٩٧م، ص٢٧.

التعريف- مفهوم السنن من العناصر الآتية:

- منظومة ناظمة لعناصر الكون ومفردات الحياة وحركات الوجود، فهي بهذا المعنى تتصف بالشمول والعموم.
- وحدة كلية من القوانين المؤطرة لظواهر الكون ووقائع التاريخ ودورات الحضارات، لا يشذ عنها شيئ ولا تحابي أحداً، وهي بهذا المعنى تتصف بالنفاذ والاطراد.
- مبدأ السببية القائم على وجود علاقة ترابطية بين الأسباب والنتائج، وهذه العلاقة الترابطية دالة على جريان الوجود على سننية محكمة تضفي على الوقائع والحوادث وحدة منطقية وموضوعية تؤهل الإنسان متى ما أمسك بزمامها أن يقود الحضارة.
- مركز السنن ومحوره هو الإنسان سواء تعلق الأمر باكتشافها أو تسخيرها؛ لأنه هو وحده المؤهل بما فطر عليه من استعدادات نفسية وقدرات عقلية، وما جبل عليه من الحرية والإرادة على البحث عنها.
- الوظيفة الكبرى للسنن هي تمكين الإنسان من القيام بمهمة إعمار الأرض، وأداء واجب الاستخلاف الذي كلف به بموجب آيات الاستخلاف والعهد والميثاق.

- **تعريف صديق عبد العظيم أبي الحسن:**

"سنن الله في المجتمعات هي وقائع الله التي جرت عادته بإنزالها بعباده على أعمالهم الاختيارية التي استمرأوها ولم يتحولوا عنها، ثواباً لمن وافقوا منهج الله، أو عقاباً لمن كفروا أو شاقوا الله ودعاته، أو ابتلاء للمؤمنين، أو إملاء، أو استدراجاً للطغاة، وكذا ما وضع الله لعباده من شرائع."[1]

---

(١) أبو الحسن، صديق عبد العظيم. "مفهوم سنن الله الاجتماعية في القرآن الكريم"، **مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية**، العدد (٣١)، السنة (١٢)، (ذو القعدة ١٤١٧هـ/ أبريل١٩٩٧م)، ص٥٦.

يدقق هذا التعريف أكثر من خلال ضبط ما يضاف إلى السنن، فالسنن ليست واحدة، وإنما تتعدد بحسب مجالاتها، ولذلك ميز عبد العظيم أبو الحسن بين سنن الله في المجتمعات و سنن الله الكونية وذلك على مستوى التحديد المفهومي. ويجدر بنا أن نقدم تعريفه الآخر لسنن الله الكونية للوقوف على أهم الاختلافات بين التعريفين. يقول عبد العظيم أبو الحسن: "وتعريف سنن الله الكونية اصطلاحاً هي: نواميس الله تعالى وقوانينه الأزلية التي تضبط حركة المخلوقات من:الأجرام، والمركبات، والعناصر، وغيرها. في تكامل وانسجام، من أصغر ذرة إلى أكبر مجرة، يؤدي كل منها ما خلق من أجله، دون أدنى خلل أو تخلف ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان: ٢]""[1] استعمل أبو الحسن لفظ الوقائع والشرائع والعادة ونسبها إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى للدلالة على للسنن الاجتماعية، في حين استعمل لفظ النواميس والقوانين التي خلقها الله تعالى للدلالة على سنن الله الكونية.

وهذا تمييز أساسي لم يجر فيه أبو الحسن مجرى أغلب المعاصرين الذين استهوتهم كلمة القوانين في محاولتهم تحديد معنى السنن الاجتماعية، وإنما استحضر السياق الذي ترد فيه لفظة السنة أو السنن في القرآن الكريم. فما كان مرتبطاً بظواهر الكون فهو خاضع لقوانين مقدرة ونواميس متقنة منذ الأزل، وما كان متعلقاً بأحوال الأمم وأحداث التاريخ، فتلك وقائع الله تعالى وعادته الجارية في معاملته لعباده، وهذه هي السنن الاجتماعية، ولا تعلق لها بمعنى القوانين الذي جرت عليه أقلام أغلب من كتب في موضوع السنن. فهذا فرق أول، أما الفرق الثاني فيتعلق بارتباط السنن الاجتماعية بالإرادة والاختيار الإنساني لمنهج وسلوك في الحياة يسعى من خلاله الإنسان في الأرض وينشئ به حضارة وعمراناً، في حين ترتبط السنن الكونية بحركة المخلوقات الأخرى الخاضعة حتماً وضرورة لقوانين ثابتة لا تتخلف عنها. فطابع السنن الاجتماعية إنساني تاريخي حضاري، وطابع السنن الكونية مادي طبيعي. أما

(١) المرجع السابق، ص٥٧.

الفرق الثالث فيتعلق بوظيفة السنن وأبعادها العملية؛ فالسنن الاجتماعية هي عادة الله تعالى التي تتجلى من خلال الثواب والجزاء الإلهي لمن وافق سنن الاستخلاف، أو من خلال العقاب لمن خالف مقتضيات العهد والميثاق وحارب رسالات الله، أو ابتلاء من الله للمؤمنين تمحيصاً وتثبيتاً، أو استدراجاً للطغاة والمستبدين، والسنن الكونية هي التقدير الإلهي المتقن لحركة الوجود المادي الخاضع للانسجام والتكامل.

- تعريف يوسف القرضاوي (ولد: ١٩٢٦م):

"القوانين الثابتة التي أقام الله عليها نظام الخلق، باعتبار أنها الطريقة المعتادة التي يجري عليها القدر الإلهي في سياسة الخلق عامة، وفي عقاب الطغاة المكذبين خاصة."[(١)]

يقوم هذا التعريف على تحديد معنى السنن بالقوانين الثابتة التي يسير عليها نظام الخلق، وهي قوانين من خلق الله تعالى دالة على طريقته في معاملته لعباده، وإنزال عقوبته بالطغاة المكذبين منهم. وقد نحى القرضاوي في هذا التعريف منحى لغوياً معتبراً السنة هي الطريقة والعادة، وهي لذلك صارت كالقانون لثباتها واطرادها، مركزاً كما يبدو من التعريف على البعد الاجتماعي الحضاري لمعنى السنن الإلهية.

- تعريف عمر عبيد حسنة (ولد: ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م):

"السنن بمعنى القوانين المطردة والثابتة، التي تحكم حركة الحياة والأحياء، وتحكم حركة التاريخ، وتتحكم بالدورات الحضارية، بما يمكن أن نسميه سنن التداول الحضارين استيحاء من قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران: ١٤٠] والتي تعتبر معرفتها شرطاً أساسياً للتبصر بالعواقب، وتؤهل معرفتها إلى تسخيرها والتمكن من الإنجاز والإبداع الحضاري."[(٢)]

---

(١) القرضاوي، يوسف. **المدخل لدراسة السنة النبوية**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، (٢٠٠١م/ ١٤٢٢هـ)، ص١٠.

(٢) كنعان، **أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق**، مرجع سابق، ص١١ من مقدمة عبيد حسنة.

يعرف عبيد حسنة السنن بالقوانين التي توجه وتضبط حركة الخلق والحياة والتاريخ والحضارات، مبرزاً خاصيتين من خصائص السنن هما: الاطراد والثبات، بالإضافة إلى خاصية العموم والشمول التي يحملها هذا التعريف ضمنياً. وقد حدد عبيد حسنة الأثر الذي يمكن أن تخلفه المعرفة السننية في كونها الشرط الأساس للتبصر بالمآلات والعواقب، والأكثر تأهيلاً لتحقيق الإنجاز والإبداع الحضاري بعد تحويل ذلك التحكم المعرفي السنني إلى تحكم تسخيري فعال. ويضيف عبيد حسنة في تعريف آخر له أن: "السنة هي القانون المطرد الممتد الذي لا يقبل التحويل ولا التبديل، فهي في مجال الأنفس كالقانون الطبيعي الكوني في اطراده وثباته، في مجال الآفاق؛"[1] إذ يحدد معنى السنة وخصائصها ومجالها؛ فيحددها بمعنى القانون، طبيعتها الاطراد، والامتداد، والعموم، والثبات، وعدم التحويل، وعدم التبديل، مستخدماً الأسلوب القرآني في تحديد خصائص السنة في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر: ٤٣-٤٤]، أما مجالها فهو عالم الأنفس والآفاق.

- تعريف الطيب برغوث (ولد١٩٥١):

"ونقصد بالسنن هنا الأنساق الخلقية الهيكلية، أو البنيوية المنتظمة في المفردات الكونية، لتضمن أداء كل مفردة منها لوظيفتها الوجودية الداخلية والخارجية، في النسيج الكوني العام باطّراد، سواء تعلق الأمر بمفردات عالم الآفاق، أو عالم الأنفس، أو عالم الهداية، أو عالم التأييد (الرباني)، وهي العوالم الأربعة ذات العلاقة التسخيرية المباشرة بالإنسان، التي يقوم كل منها على نسيج سُنني متكامل، يحكم وجوده، ويحدد طبيعته وهويته الذاتية، التي ينبثق منها المنهج المعرفي الوظيفي، الذي يمكّن من فعالية البحث فيها، وتوسيع آفاق المعرفة بها أولاً، ومن ثم الفهم لآليات عملها وأدائها

(١) ابن مبارك، برغوث عبد العزيز. **المنهج النبوي والتغيير الحضاري**، سلسلة كتاب الأمة (٤٣)، الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (فبراير١٩٩٥م/ رمضان١٤١٥هـ)، ص٢٥، من مقدمة عمر عبيد حسنة.

لوظائفها التسخيرية ثانياً، والوصول إلى القدرة اللازمة على التحكم التسخيري فيها، أو الاستثماري لها بعد ذلك في نهاية الأمر."[1]

رغم ما يبدو على هذا التعريف من تعقيد في تبين دلالة السنن، إلا أنه يعد من أجمعها وأدقها، وصاحبه ممن تمرس في موضوع السنن سنين عدداً، تأليفاً وممارسة. و قد ألف في ذلك مؤلفات تعد الإطار المنهجي والمعرفي لمن رام ولوج المسألة السننية والخوض في قضاياها. ولذلك فهو يقدم تعريفاً للسنن بناء على:

- مقاربة حضارية تركز على الأبعاد المنهجية والمعرفية والاستثمارية للسنن. وهي مقاربة تتناول السنن على أنها ذلك الكل المركب الذي تتفاعل فيه عناصر، وتتداخل فيه أجزاء ضمن النسيج الكوني والإنساني المتناغمين بصدورهما من مشكاة واحدة.
- مقاربة نسقية بنيوية تنظر إلى السنن على أنها وحدة هيكلية تتشكل من عوالم أربعة: عالم الآفاق (الكون المادي)، وعالم الأنفس (الكون النفسي والاجتماعي)، وعالم الهداية، وعالم التأييد (الكون الغيبي).
- مقاربة وظيفية تكاملية تنظر إلى السنن من خلال وظيفتها الوجودية في تمكين الإنسان من القيام بأمانة الاستخلاف واستثمار فعالية السنن التسخيرية.
- مقاربة بنائية داخلية تتناول السنن تناولاً داخلياً فتكشف عن خصائص الاطراد والتكامل والانتظام والتوازن والفعالية، وخارجية تستحضر أثر هذه الخصائص في توجيه الفعل التاريخي والحضاري، وترشيد صيرورة الحركة الاستخلافية لخوض أقدار الابتلاء والتدافع والتداول والتجديد.

---

(١) برغوث، الطيب. **الفعالية الحضارية والثقافة السننية**، سلسلة آفاق في الوعي السنني (٥)، الجزائر: دار قرطبة، ط١، (٢٠٠٤م/ ١٤٢٥هـ)، ص٣٢.

- **تعريف عبد العزيز برغوث (ولد ١٩٦٦م):**

"فالسُّنن الإلهية -كما ينظر إليها هذا البحث- هي: النظام الرباني النموذجي الأصلي (المتناسق والمتكامل والمطّرد والثابت والعام) الذي أجرىٰ عليه الله شؤون الكون والحياة والإنسان، وحكم وَفْقَهُ حركة الاستخلاف (العمران، والحضارة، والثقافة، والتاريخ)، وأخضع له وجود الإنسان وصيرورته في عالم الشهادة الدنيوي، وذلك من أجل تمكين الإنسان، ليحقق أعلىٰ مراتب الفقه البصير بالسُّنن، والتسخير الرشيد لها فردياً وجماعياً، ويحقق كذلك أقصىٰ مستويات الترقي في الاستخلاف؛ عبودية لله، وعمراناً للكون، وإنقاذاً للخلق، وشهوداً حضارياً علىٰ الأمم، ويحوز بذلك أعلىٰ مراتب الفوز بمقامات الفلاح في عالم الآخرة والبقاء."[1]

يندرج هذا التعريف كسابقه ضمن المقاربة الحضارية للسنن المؤطرة معرفياً ومنهجياً التي تستحضر الأبعاد الكلية الشاملة للسنن: معرفة وتسخيراً واستثماراً. و قد أكد هذا التعريف علىٰ ضرورة تناول السنن من خلال الأبعاد الآتية:

- البعد المنهجي للسنن: يتركز هذا البعد علىٰ النظر إلىٰ السنن الإلهية علىٰ أنها نظام يحكم الكون والحياة والإنسان.
- البعد المعرفي والمرجعي للسنن: يقوم هذا البعد علىٰ مرجعية الوحي التي تقضي بربانية السنن وأصالتها. فمشيئة الله تعالىٰ هي التي أجرت الخلق كله علىٰ نظام سنني نافذ لا يتخلف أبدا. وهنا يتبدىٰ الجانب التربوي والإيماني للسنن.
- البعد البنيوي للسنن: يتحدد هذا البعد من خلال هذا التعريف في طبيعة وخصائص السنن القائمة علىٰ التناسق والتكامل والاطراد والثبات والعموم.
- البعد الوظيفي للسنن: يتخذ هذا البعد طابعاً عملياً تطبيقياً تتبدىٰ من خلاله أدوار ووظائف السنن. فعمل السنن هو الرفع من مستويات الفعالية

(١) برغوث، "ملاحظات حول دراسة السنن الإلهية في ضوء المقاربة الحضارية"، مرجع سابق، ص٤٣.

التسخيرية و تحقيق أعلى مراتب الترقي الاستخلافي في خط حركة العبودية والعمران والشهود الحضاري والتمكين وهداية الخلق والفوز في الآخرة.

- تعريف محمد السيسي:

قدم السيسي تركيباً لتعريف السنة في القرآن الكريم بحسب ما انتهى إليه نظره مؤداه: "أن السنة هي النواميس والقوانين المطردة التي تحكم نظام الكون بما فيه الإنسان، وفق إرادة الله في خلقه. وهي بتعبير آخر: مشيئة الله ونفاذها في هذا العالم وفق قواعد حكيمة وطرائق قويمة، متجددة بتجدد أسبابها، ملازمة للأفعال التي توجب وقوعها، ثابتة لا تتغير، بتقدير قدره الله وشرطه على خلقه، إنها وعد الله وعادته في الخلق، ذكرها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى في كتابه الخاتم في إطار القياس التمثيلي بشواهد التاريخ، وأحوال الأمم، وصيرورة المجتمعات."[(١)]

يؤكد السيسي في تحديده لدلالة السنة على البعد العقدي من حيث هي كلمات الله ومشيئته وإرادته النافذة، وعلى البعد العلمي الموضوعي من حيث هي نواميس ثابتة ومطردة تحكم الخلق والكون والتاريخ وحركة المجتمعات الإنسانية.

- تعريف محمد أمحزون:

"إن السنن عادات الله تعالى وكلماته التي لا مبدل لها في الكون، وهي مستخلصة من سلوك الظواهر نفسها المتسمة بالاطراد والشمول والثبات والصرامة."[(٢)]

ضيّق أمحزون في تعريفه المشار إليه من مجال السنن، فجعله مقتصراً على مجال الكون فقط، إلا أن يكون قصد بالكون ماهو مادي وإنساني، كما أشار إلى مصدر واحد من مصادر السنن وهو الواقع العيني للظواهر، دون أدنى إشارة إلى المصادر الأخرى

(١) السيسي، محمد. "السنن الاجتماعية في القرآن الكريم"، **مجلة رسالة القرآن**، المغرب، العدد (١)، (محرم، صفر، ربيع الأول١٤٢٥هـ/ ماي، أبريل، ماي٢٠٠٤م)، ص٤٩.

(٢) أمحزون، محمد. "الإعجاز السنني في القرآن الكريم"، بحث مقدم للمؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المنعقد بالكويت (٥-٨ ذو القعدة ١٤٢٧هـ)، ص٣٢.

الأساس التي يقوم عليها فقه السنن، مقتصراً فقط على ذكر خصائص بعينها دون الحديث عن وظائف السنن.

- **تعريف مجدي محمد محمد عاشور:**

"سنة الله: هي ما اطرد من فعل الله في معاملة الأمم والأفراد، بناء على أفعالهم وسلوكهم وموقفهم من شرع الله، وأثر ذلك في الدنيا والآخرة."[(١)]

يعرف عاشور سنة الله بفعله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المتصف بالاطراد في معاملة الأمم والأفراد على ما صدر منهم من الأفعال والسلوك والمواقف من رسالات الله. وقد أشار عاشور إلى أن سنة الله كما يترتب عليها الجزاء والنتيجة في الدنيا، فكذلك الحال في الآخرة. ويبدو أن هذا التعريف شبيه بتعريف عبد الكريم زيدان بما يعني عدم استثمار مجدي عاشور لعدد من المجهودات العلمية المعاصرة في مجال التحديد المفهومي للسنن الإلهية.

- **تعريف إدريس العلمي:**

"هي العادة المألوفة والمثال المتبع الجاري في معاملة الله تعالى للناس في الدنيا، على حسب أعمالهم في حال الطاعة وحال المعصية، بالإنعام على المطيع، والانتقام من العاصي."[(٢)]

لم يخرج هذا التعريف عن إطار بعض التعريفات التي تقدمت خصوصاً تعريف عبد الكريم زيدان منطلقاً من الدلالة اللغوية لمصطلح السنة، ومقصراً دلالة السنة على معنى الجزاء الإلهي المترتب على أعمال الخلق. ولا شك أن سنة الجزاء هي واحدة من السنن التي تحكم عالم الاجتماع الإنساني وحركة الأمم والحضارات وليست

---

(١) عاشور، مجدي محمد. **السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم؛ أصول وضوابط**، القاهرة: دار السلام، ط١، (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ص٣٦.

(٢) العلمي، إدريس. "فقه سنن النفسِ والمجتمع في السُّنة النبوية"، (أطروحة دكتوراه، جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، المملكة المغربية، ٢٠٠٣م).

وحدها هي المقصودة بلفظ السنة، وفي ذلك تضييق للكثافة الدلالية لمصطلح السنن.

- **تعريف شريف صالح الخطيب:**

"السنة الإلهية منهج الله في تسيير هذا الكون وعمارته وحكمه، وعادة الله في سير الحياة الإنسانية وعادته في إثابة الطائعين وعقاب المخالفين طبق قضائه الأزلي على مقتضى حكمته وعدله."(١)

يوظف صالح الخطيب مفردة المنهج الإلهي للدلالة على سنن الله الكونية وما يتعلق به من حكم الله تعالى في عمارة الكون وتسييره، ويستثمر مفردة العادة الإلهية للدلالة على سنن الله الاجتماعية، وما يتعلق بها من ترتب الجزاء والعقاب بمقتضى الحكمة والعدل الإلهيين. وكل من المنهج والعادة مرتبطان بالدلالة اللغوية لمصطلح السنة.

- **تعريف حسين شرفه:**

"مجموعة من القوانين والقواعد الثابتة والمطردة التي تحكم حياة الخلق وحركة التاريخ في نظام دقيق ترتبط فيه المقدمات -سلباً وإيجاباً- بالنتائج بمقتضى حكمة الله تعالى وعدله."(٢)

يسعى حسين شرفه في تعريفه التنبيه إلى الطابع الكلي والنسقي الذي يحكم السنن، وما تتميز به من خاصيتي الثبات والاطراد المشاهدة في الارتباط السببي بين النتائج والمقدمات، مع تأكيده على البعد العقدي للسنن التي تقع بمقتضى الحكمة والعدل الإلهيين.

---

(١) الخطيب، شريف صالح. "السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك"، (أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ج١، ص٩. وانظر أيضاً:

- شرفه، حسين. **سنن الله في إحياء الأمم في ضوء الكتاب والسنة**، بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، ط١، (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، ص٥٤.

(٢) شرفه، **سنن الله في إحياء الأمم في ضوء الكتاب والسنة**، المرجع السابق، ص٥٧.

المحصل من التعريفات:

أفضى بنا النظر في هذه التعريفات إلى النتائج التالية:

يمكن تصنيف التعريفات السابقة إلى صنفين:

- من حيث بنيتها: فهناك من نظر إليها بوصفها أجزاء مفصولة عن بعضها بعضاً، في مقابل من أكد على أنها وحدة، ومنظومة تتداخل فيها عناصر، وأبعاد متعددة تتكامل فيما بينها.
- من حيث النظر في أصلها اللغوي وامتداداته الاصطلاحية: فصنف ظل وفياً للأصل اللغوي للفظ "السنة" فعرفها بالطريقة والعادة والمثال المتبع، وصنف أعرض عن هذا الأصل أو أضاف إليه معنى القانون والنظام.
- من حيث النظر في خصائص السنة: فهناك من جعل من ذكر خصائص السنن وطبيعتها جزءاً من تعريفها فأورد خاصية الثبات والاطراد والعموم والنفاذ...
- من حيث النظر في أقسامها: فهناك من ميز في تعريفه بين السنن الكونية والسنن الاجتماعية، وهناك من أفرد السنن بالطابع الاجتماعي الإنساني دون الطابع الكوني المادي؛ أي من نظر في ارتباطها فقط بالمجال الاجتماعي التاريخي الحضاري، ولا تعلق لها بمجال الكونيات والطبيعيات.
- من حيث وظيفيتها وكفاءتها الإنجازية وفعاليتها في التدافع والتداول والقيام بمقتضيات التسخير والاستخلاف.

وهذه التصنيفات التي صار عليها المعاصرون، وحكمت اختلافهم في تحديد وتعيين دلالة السنن تتكامل وتتساند فيما بينها، فالحديث عن التحديد الدلالي لمفهوم السنن يقتضي مثل هذا التعدد والتنوع الناتج عن تنوع واختلاف مشارب وتخصصات هذه النماذج التي اخترناها من المعاصرين. كما يدل ذلك على الطابع التركيبي المعقد

لمفهوم السنن وأبعاده المختلفة ومجالاته المتعددة.

ثانياً: حد السنة في اصطلاح القرآن والحديث

إن صياغة تعريف جامع ومانع لمفهوم السنة وفق الرؤية الإسلامية يقتضي استقراء موارد لفظ السنة في نصوص القرآن والحديث إحصاء ووصفاً، ودراستها من جهة حجم ورودها وشكل ذلك الورود، ثم دراستها من جهة دلالاتها للوقوف على العناصر الجزئية لمعاني لفظ السنة لبناء تعريف متكامل لمفهوم السنة.

١- موارد لفظ السنة في القرآن والحديث: إحصاء ووصف:

أ- موارد لفظ السنة في القرآن الكريم:

جاء لفظ "السنة" في القرآن الكريم بالصيغة الصريحة في ستة عشر موضعا؛ فورد مفرداً في أربعة عشر موضعاً، وجمعاً في موضعين، وجاء مضافاً إلى الله تعالى في تسعة مواضع، ومضافاً إلى الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ في موضع واحد، ومضافاً إلى الأولين في أربعة مواضع، ومضافاً إلى الذين من قبل في موضع واحد، وجاء نكرة مجردة عن الإضافة في موضع واحد.[1] وقد توزعت هذه المواضع على عشر سور؛ خمس منها مكية وهي: الحجر، والإسراء، والكهف، وفاطر، وغافر، وخمس مدنية وهي: آل عمران، والنساء، والأنفال، والأحزاب، والفتح.

وهذه الآيات وفق ترتيب السور في القرآن الكريم هي:

﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧﴾ [آل عمران:١٣٧].

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ

(١) نشير إلى أن ما سنورده من الآيات القرآنية هو ما جاء التصريح فيها بلفظ السنة، أما حديث القرآن عن السنن فلا يرتبط فقط بمثل هذه الإشارة الصريحة وإنما هناك صيغ أخرى كما سيأتي بيانه في الفصل الثاني من هذا الباب.

حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النساء: ٢٦].

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنفال: ٣٨].

﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الحجر: ١٢-١٣].

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَا وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلٗا ﴿٧٧﴾﴾ [الإسراء: ٧٦-٧٧].

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا ﴿٥٥﴾﴾ [الكهف: ٥٥].

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [الأحزاب: ٣٨].

﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٠﴾ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٦٢﴾﴾ [الأحزاب: ٦٠-٦٢].

﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر: ٤٣].

﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [غافر: ٨٤].

﴿وَلَوۡ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾﴾ [الفتح: ٢٢-٢٣].

ويمكن ذكر موارد كل صيغة من الصيغ الواردة في القرآن كالآتي:

- صيغة الجمع النكرة المجردة عن الإضافة: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [آل عمران: ١٣٧].

- صيغة الجمع النكرة المضافة مضافة إلى ("الذين من قبلكم"): ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النساء: ٢٦].

- صيغة المفرد مضافة إلى الأولين: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنفال: ٣٨].

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الحجر: ١٢-١٣].

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾ [الكهف: ٥٥].

﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر: ٤٣].

- صيغة المفرد مضافة إلى الرسل: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [الإسراء: ٧٦-٧٧].

صيغة المفرد مضافة إلى الله تعالى:

- مرتبطة بالتي قد خلت من قبل: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفتح: ٢٣].

- مرتبطة بخاصية من خصائص سنن الله: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢﴾ [الأحزاب: ٦٢].

﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٤٣﴾ [فاطر: ٤٣].

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا ٤٣﴾ [فاطر: ٤٣].

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ [الفتح:٢٣].

﴿سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلٗا ٧٧﴾ [الإسراء: ٧٧].

- مرتبطة بالذين خلوا من قبل: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ٣٨﴾ [الأحزاب: ٣٨].

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُ ٦٢﴾ [الأحزاب: ٦٢].

- مرتبطة بالتي خلت في عباده: ﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٥﴾ [غافر: ٨٥].

وفيما يأتي جدول توضيحي للآيات التي ذكرت فيها لفظة "سنة" أو "سنن" مع بيان السور الواردة فيها ومكان نزولها وترتيبها داخل القرآن المكي والقرآن المدني، مع حجم ورود هذه اللفظة وصيغة هذا الورود.

صيغة الورود	حجم الورود	ترتيب النزول	مكان نزولها	رقم الآية	اسم السورة	كلمة "سنة" في الآية
صيغة المفرد النكرة المضافة	٣	٤٣	مكية	٤٣	فاطر	﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ٤٣﴾
صيغة المفرد النكرة المضافة	٢	٥٠	مكية	٧٧	الإسراء	﴿سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ٧٧﴾
صيغة المفرد النكرة المضافة	١	٥٤	مكية	١٣	الحجر	﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣﴾
صيغة المفرد النكرة المضافة	١	٦٠	مكية	٨٥	غافر	﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٥﴾
صيغة الجمع النكرة المضافة	١	٦٩	مكية	٥٥	الكهف	﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا ٥٥﴾
صيغة المفرد النكرة المضافة	١	٢	مدنية	٣٨	الأنفال	﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨﴾
صيغة الجمع النكرة المجردة عن الإضافة	١	٣	مدنية	١٣٧	آل عمران	﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧﴾
صيغة المفرد النكرة المضافة	١	٤	مدنية	٣٨	الأحزاب	﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ٣٨﴾
صيغة المفرد النكرة المضافة	٢	٤	مدنية	٦٢		﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢﴾
صيغة الجمع النكرة المضافة	١	٦	مدنية	٢٦	النساء	﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٦﴾
صيغة المفرد النكرة المضافة	٢	٢٥	مدنية	٢٣	الفتح	﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾

ب- موارد لفظ "السنة" في الحديث النبوي:

ورد لفظ السنة في الحديث النبوي، وآثار الصحابة بصيغ مختلفة، ومع أننا لم نقصد إيراد كل الأحاديث والآثار والشواهد، فإننا أتينا على ذكر ما يفيد دراستنا، وما يعين على فهم دلالة السنة.

- صيغة المفرد المضاف إلى صفة (سنة حسنة، وسنة سيئة):

عن جرير بن عبد الله البجلي قال: قال رسول الله ﷺ: "من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا"(١) وأخرجه الترمذي من وجه آخر عن جرير بلفظ "من سن سنة خير، ومن سن سنة شر."

- صيغة الجمع المضاف إلى "من كان قبلكم":

عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: "لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم. قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟"(٢)

---

(١) القشيري، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، كتاب: الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، ج٢، ص٧٠٤، حديث رقم: ١٠١٧. وفي كتاب: العلم، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ج٤، ص ٢٠٥٨، حديث رقم: ١٠١٧.

(٢) رواه البخاري ومسلم. انظر:

- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل الجعفي. **الجامع الصحيح**، تحقيق: مصطفى ديب البغا، بيروت ودمشق: دار ابن كثير ودار اليمامة، ط٣، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قول النبي ﷺ: "لتتبعن سنن من كان قبلكم"، ج٦، ص٢٦٦٩، حديث رقم: ٦٨٨٩. وفي كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، ج٣، ص١٢٧٤، حديث رقم: ٣٢٦٩.

- القشيري، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، كتاب: العلم، باب: اتباع سنن اليهود والنصارى، ج٤، ص٢٠٥٤، حديث رقم: (٢٦٦٩).

وعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ -وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ-، وِلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، قَالَ: فَمَرَرْنَا بِالسِّدْرَةِ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "الله أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف: ١٣٨]، لَتَرْكَبُنَّ سنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ."(١)

- صيغة الجمع المضاف إلى"سنة الأولين":

وعن المستورد بن شداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: "لا تترك هذه الأمة شيئاً من سنن الأولين حتى تأتيه."(٢)

- صيغة المفرد المضاف إلى أهل الكتاب (سنة أهل الكتاب):

أَن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذكر المجوس، فَقَال: مَا أَدْرِي كَيْفَ أَصْنَعُ فِي أَمْرِهِمْ؟ فَقَالَ عبد الرحمن بن عوف: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: "سُنُّوا بهم

---

(١) رواه الترمذي وقال: "حسن صحيح،" وأحمد في المسند، وصححه الألباني. انظر:

- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة. **الجامع الكبير «سنن الترمذي»**، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م، كتاب: الفتن، باب: ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، ج٤، ص٤٥، حديث رقم: (٢١٨٠).
- الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م)، ج٣٦، ص٢٢٥، حديث رقم: (٢١٨٩٧).
- الألباني، محمد ناصر الدين. **جلباب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة**، القاهرة: دار السلام، ٢٠٠٠م، ص٢٠٢.

(٢) رواه الطبراني في معجمه الأوسط، وقد تفرد به ابن لهيعة وهو ضعيف، لكن يشهد بصحة معناه ما جاء في الصحاح والسنن. انظر:

- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد. **المعجم الأوسط**، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة: دار الحرمين، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ج١، ص١٠١، حديث رقم: (٣١٣).

سُنَّة أَهل الكتاب."[1]

- صيغة المفرد المضاف إلى ضمير المفرد المتكلم وهو النبي ﷺ (سنتي):

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فأنا أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء إليهم رسول الله ﷺ فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني."[2]

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله ﷺ: "يا بني، إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل، ثم قال لي: يا بني، وذلك من سنتي، ومن أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة."[3]

---

(١) رواه مالك في "الموطأ"، وقال ابن عبد البر: منقطع، ولكن معناه متصل من وجوه. انظر:

- الأصبحي، أبو عبدالله مالك بن أنس. **الموطأ**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار إحياء التراث العربي، (د. ت.)، كتاب: الزكاة، باب: جزية أهل الكتاب والمجوس، ج١، ص٢٧٨، حديث رقم: (٦١٦).

- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري. **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، الرباط: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ، ج٢، ص١١٤.

(٢) رواه البخاري ومسلم. انظر:

- البخاري، **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح، ج٥، ص١٩٤٩، حديث رقم: (٤٧٧٦).

- القشيري، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ج٢، ص١٠٢٠، حديث رقم: ١٤٠١.

(٣) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن غريب. انظر: =

وعن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف بن زيد بن ملحة عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال لبلال بن الحارث: "اعلم، قال: ما أعلم يا رسول الله؟ قال: إنه من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً... "[1] الحديث.

وعنه أيضاً عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: "... إن الدين بدأ غريباً ويرجع غريباً فطوبى للغرباء، الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي."[2]

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: "لكل عمل شرَّة، ولكل شِرَّة فترة،[3] فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك."[4]

=- الترمذي، **الجامع الكبير «سنن الترمذي»**، مرجع سابق، كتاب: العلم، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، ج٤، ص٣٤٣، حديث رقم: (٢٦٧٨).

(١) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن، والحديث ضعيف لضعف كثير بن عبد الله. ولكن له شواهد تقويه. انظر:

- الترمذي، **الجامع الكبير «سنن الترمذي»**، مرجع سابق، كتاب: العلم، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، ج٤، ص٣٤٢، حديث رقم: (٢٦٧٧).

- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد. **تقريب التهذيب**، تحقيق: محمد عوامة، حلب: دار الرشيد، ط١، (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ص٤٦٠، ترجمة رقم: (٥٦١٧).

(٢) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن، قلت: فيه كثير بن عبد الله وهو ضعيف. لكن الحديث قد صح غالبه من وجوه أخرى. انظر:

- الترمذي، **الجامع الكبير «سنن الترمذي»**، مرجع سابق، كتاب: الإيمان، باب: ما جاء أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، ج٤، ص٣١٤، حديث رقم: (٢٦٣٠).

- ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، مرجع سابق، ص٤٦٠، ترجمة رقم: (٥٦١٧).

(٣) شرة: حرص ونشاط. فترة: فتور؛ أي ضعف.

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه، وعلق عليه الأرناؤوط بقوله: "إسناده صحيح على شرطهما." انظر: =

وعن أبي الطفيل قال: قلت لابن عباس يزعم قومك أن رسول الله ﷺ قد رمل بالبيت وأن ذلك سنة قال صدقوا وكذبوا. قلت: وما صدقوا وما كذبوا؟ قال: صدقوا، قد رمل رسول الله ﷺ وكذبوا ليس بسنة.[1] إن قريشاً قالت زمن الحديبية دعوا محمداً وأصحابه يموتوا موت النغف، فلما صالحوه على أن يجيئوا من العام المقبل فيقيموا بمكة ثلاثة أيام، فقدم رسول الله ﷺ، والمشركون من قبل قعيقعان، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: ارملوا بالبيت ثلاثاً، وليس بسنة. قلت: يزعم قومك أن رسول الله ﷺ طاف بين الصفا والمروة على بعيره وأن ذلك سنة، فقال صدقوا وكذبوا. قلت: وما صدقوا وما كذبوا؟ قال: صدقوا، قد طاف رسول الله ﷺ بين الصفا والمروة على بعيره، وكذبوا ليس بسنة،كان الناس لا يدفعون عن رسول الله ﷺ ولا يصرفون عنه، فطاف على بعير ليسمعوا كلامه وليروا مكانه ولا تناله أيديهم."[2]

- صيغة المفرد المضاف إلى النبي ﷺ وأصحابه:

عن العرباض بن سارية قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول

= - البستي، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي، **صحيح ابن حبان «بترتيب ابن بلبان»**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ج١، ص١٨٧، حديث رقم: (١١).

(١) قال أبو سليمان الخطابي: "وقوله: "ليس بسنة" معناه أنه أمر لم يسن فعله لكافة الأمة على معنى القربة، كالسنن التي هي عبادات، ولكنه شيء فعله رسول الله ﷺ لسبب خاص." انظر:

- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي. **معالم السنن «شرح سنن أبي داود»**، تحقيق: محمد راغب الطباخ، حلب: المطبعة العلمية، ط١، (١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م)، ج٢، ص١٩٣.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، وأبو داود في سننه واللفظ له. انظر:

- القشيري، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، كتاب: الحج، باب: جواز الطواف على بعير وغيره ...، ج٢، ص٩٢٦، حديث رقم: ١٤٠١.

- السجستاني، **سنن أبي داود**، مرجع سابق، كتاب: المناسك، باب: في الرمل، ج٣، ص٢٦٨، حديث رقم: (١٨٨٥).

الله! كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة."[١]

- **صيغة المفرد المضاف إلى"الجاهلية":**

وفي قوله ﷺ: "أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية..."[٢]

- **صيغة المفرد المعرف:**

عن حذيفة قال: "حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة ..."[٣]

ومنه حديث: "أنه ﷺ حَضَّ على الصدقة، فقام رجل قبيح السنة؛"[٤] أي: الصورة.

---

(١) رواه أبو داود، والترمذي وقال: "هذا حديث حسن." انظر:

- السجستاني، **سنن أبي داود**، مرجع سابق، أول كتاب السنة، باب: في لزوم السنة، ج٧، ص١٧، حديث رقم: (٤٦٠٧).

- الترمذي، **الجامع الكبير «سنن الترمذي»**، مرجع سابق، كتاب: أبواب العلم، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع،، ج٤، ص٣٤٢، حديث رقم: (٢٦٧٧).

(٢) البخاري، **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب: الديات، باب: من طلب دم امرئ بغير حق، ج٦، ص٢٥٢٣، حديث رقم: (٤٧٧٦).

(٣) البخاري، **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب: الرقاق، باب: رفع الأمانة، ج٥، ص٢٣٨٢، حديث رقم: (٦١٣٢). وكتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ج٦، ص٢٥٩٦، حديث رقم: (٦٦٧٥).

(٤) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، وذكره الزمخشري في الفائق، انظر:

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال. **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٣م، ج٤، ص٢٥٢. =

٢- دلالات موارد لفظ السنة في القرآن والحديث:

أ- تحليل معطى حجم الورود:

- تحليل معطى حجم الورود في القرآن الكريم:

يلاحظ من خلال تأمل معطى حجم ورود لفظ السنة في القرآن الكريم ما يأتي:

- يحضر مصطلح السنة في القرآن الكريم حضوراً مركزياً، فبالإضافة إلى وروده بصيغته الصريحة فقط في ستة عشر موضعاً موزعة على عشر سور، فإن النصوص التي ورد بها تحمل دلالات عقدية وتاريخية واجتماعية وحضارية.
- إن نسبة حضور المصطلح في القرآن المكي مساوية لنسبة حضوره في القرآن المدني، فقد ورد في خمس سور مكية وخمس سور مدنية، وفي كل منهما ورد مرة واحدة في ثلاث سور، ومرتين في سورة واحدة، وثلاث مرات في سورة واحدة. ولعل هذا الحضور المتكافئ للمصطلح في القرآن المكي والمدني يعكس بوضوح الأبعاد العقدية والحضارية والرسالية لمفهوم السنن.
- ورود مصطلح السنة في سياقات مختلفة: فحديث القرآن المكي عن السنن جاء في سياق إيراد تجارب الأمم الماضية و مواقفها من الوحي، وما أصابها جراء تكذيبها برسل الله وإعراضها عن الإيمان بالله وعن قيم الحق والعدل، أما حديث القرآن المدني عن السنن، فقد جاء في سياق بناء الدولة والأمة المسلمة بوصفها بديلاً له مواصفاته، وشروطه، ورؤيته، ورسالته، و"استراتيجيته" الخاصة مما يقتضي معه وعياً سننياً جديداً.

- تحليل معطى حجم الورود في الحديث الشريف:

- يحضر مصطلح السنة في الحديث النبوي الشريف حضوراً مهماً، بالإضافة إلى ماورد عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

= - الزمخشري، جار الله محمود بن عمر. **الفائق في غريب الحديث**، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار المعرفة، ط٢، (د. ت.)، ج٢، ص٢٠١.

- يحضر مصطلح السنة في الحديث النبوي الشريف في سياقات مختلفة: سياق توجيهي، وسياق تصحيحي، وسياق تحذيري استشرافي، وسياق تعليمي أخلاقي اجتماعي، وسياق منهجي، وسياق حضاري تاريخي، وسياق مرجعي مصدري...

- ارتباط سياقات ورود مصطلح السنة بما يحفها من قرائن بالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وما تعلق منها بأحوال وعادات وطبائع الأمم الأخرى.

ب- تحليل معطى شكل الورود:

- تحليل معطى شكل الورود في القرآن الكريم:

- يرد مصطلح السنة في القرآن في ظل مشاهد ذات حركية قوية تتعلق بالجماعات والأمم تدفع بالعقل المسلم دفعاً شديداً نحو رؤية سنن الله الحاكمة، وتهزه هزاً عنيفاً تحذيراً له من إهمالها. ولذلك جاءت الآيات ببيان خصائص السنن الإلهية تعبيراً عن حركيتها الدائمة وثبوتها واطرادها المستمر.

- إن مصطلح السنة يرد دائماً مضافاً إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقد مال المفسرون إلى تفسير سنن الأولين وسنن السابقين بإسنادها إلى الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن تلك الإضافة هي للملابسة الظاهرة. وتأكيد ذلك ما يعقب لفظ سنة الأولين أو سنن السابقين في القرآن الكريم من إضافتها إلى الله تعالى، مثل قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر: ٤٣]. وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الأحزاب: ٦٢]. ولذلك فورود لفظ السنة في القرآن رغم اختلاف مضافاته لا يخرج عن معنى سنة الله. مما يدل على أن خالق السنن هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهي تعمل بمشيئته، يحكم الله بها الحياة وهي لا تحكم الله تعالى.

- إن ورود المصطلح -في جميع موارده- كان بصيغة التنكير، مما يعكس خاصية

التنوع والعموم والشمول لمفهوم السنة.

- تحليل معطى شكل الورود في الحديث النبوي

- يبدو من خلال ما أوردناه من أحاديث أن مصطلح السنة في الحديث النبوي يحضر بكيفيات حضر بها في القرآن الكريم مثل: صيغة الجمع "سنن من كان قبلكم" و"سنن الأولين"، كما ورد مصطلح السنة في الحديث بصيغ واستعمالات جديدة وتوظيفات مغايرة، وإن طغى على معظمها هي أيضاً طابع التنكير مع حضور لمصطلح السنة معرفا؛ مفرداً وجمعاً.

- إن لفظ السنن في الحديث جاء في موضع التحذير من أحوال الأمم الماضية أو الحضارات والجماعات التي كانت تعاصر زمن الرسالة مثل اليهود والنصارى، والفرس والروم.

- لم يرد في الحديث لفظ "سنة" مضافاً إلى الله تعالى، وإنما ورد موصوفاً إما بالخيرية (سنة خير/ سنة حسنة) أو بالشرية (سنة شر/ سنة سيئة) أو مضافاً إلى أهل الكتاب أو أهل الجاهلية أو سنن من كان قبلكم أو سنن الأولين...

ت- تحليل المعاني والدلالات:

من خلال استقراء استعمالات لفظ السنة في كل موارده في القرآن والحديث تبين أنه يستعمل بالمعاني الآتية:

- في القرآن الكريم:

يأتي مصطلح السنة في القرآن الكريم وفق المعاني والدلالات الآتية:

• السنة بمعنى عادة الله في الخلق:

قال ابن تيمية: "السنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الأول"[1] ويقول ابن كثير في تفسيره لآية الفتح: "أي هذه سنة الله

(١) الحراني، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج١٣، ص٦٩.

وعادته في خلقه."[1]

ويرى الشوكاني أن سنة الله: "هي طريقته وعادته التي قد مضت في الأمم من نصر أوليائه على أعدائه ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ [الفتح: ٢٣]؛ أي لن تجد لها تغييراً، بل هي مستمرة ثابتة."[2]

قال ابن عاشور في تفسيره لآية آل عمران: "والمعنى: قد مضت من قبلكم أحوال للأمم، جارية على طريقة واحدة، هي عادة الله في الخلق، وهي أن قوة الظالمين وعتوهم على الضعفاء أمر زائل، والعاقبة للمتقين المحقين"[3] وقال في تفسيره لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨﴾ [الأنفال: ٣٨]. "العادة المألوفة والسيرة... وهذا الخبر تعريض بالوعيد بأنهم سيلقون ما لقيه الأولون."[4]

وقال الطبري: "السنة بمعنى المثال المتبع والإمام المؤتم به."[5]

- **السنة بمعنى الطريقة:**

تأتي السنة بمعنى طريقة الأنبياء والصالحين كقول أبي جعفر النحاس في تفسيره لآية النساء: "أي طرق الأنبياء والصالحين قبلكم لتتبعوها."[6] وقول أبي حيان أيضاً: "والسنن: جمع سنة، وهي الطريقة وقيل: مناهج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين، والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم."[7] وقال الراغب: "وسنة

(١) المرجع السابق، ج٤، ص١٩٢.

(٢) الشوكاني، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، مرجع سابق، ج٥، ص٥٣.

(٣) ابن عاشور. **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج٤، ص٩٧.

(٤) المرجع السابق، ج٩، ص٣٤٦.

(٥) ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، مادة سنن. وانظر أيضاً:

- الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مرجع سابق، ج٤، ص١٠٠.

(٦) النحاس، **معاني القرآن الكريم**، مرجع سابق، ج٢، ص٦٨.

(٧) أبو حيان الأندلسي، **تفسير البحر المحيط**، مرجع سابق، ج٣، ص٦٦.

الله تعالىٰ قد تقال لطريقة حكمته وطريقة طاعته نحو ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ [الفتح: ٢٣]، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا ٤٣﴾ [فاطر: ٤٣]."[١]

• **السنة بمعنىٰ الأمة:**

قال أبو حيان في تفسيره لآية آل عمران: "وقال الزجاج: أهل سنن؛ أي طرائق أو أمم، علىٰ شرح المفضل أنّ السنة الأمة."[٢]

• **السنة بمعنىٰ الأمثال والأحوال والوقائع:**

قال أبو حيان: "وقال ابن زيد: أمثال. وقال ابن عباس: وقائع وطلب السير في الأرض، و... ما سنة الله في الأمم المكذبين من وقائعه كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦ... ٤٠﴾ [العنكبوت: ٤٠]، ﴿... وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلًا ٦١ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ ٦٢﴾ [الأحزاب، ٦١-٦٢] وفي هذه الآية دلالة علىٰ جواز السفر في فجاج الأرض للاعتبار."[٣]

وقال في تفسيره لآية آل عمران: "المراد بالسنن ما سنه الله في الأمم من وقائعه؛ أي قد خلت من قبل زمانكم وقائع، سنها الله في الأمم... وأصل السنن: جمع سنة وهي الطريقة المستقيمة."[٤]

• **السنة بمعنىٰ الدين:**

"فسنة الله: أحكامه، وأمره، ونهيه سنها الله للناس؛ أي بينها،"[٥] فهي بمعنىٰ

---

(١) الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، مرجع سابق، كتاب السين، ص٢٤٥.

(٢) أبو حيان الأندلسي، **تفسير البحر المحيط**، مرجع سابق، ج٣، ص٦٦.

(٣) المرجع السابق، ج٣، ص٦٦.

(٤) الشوكاني، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، مرجع سابق، ج١، ص٣٨٣-٣٨٤.

(٥) ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، مادة سنن. وانظر أيضاً:

- الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مرجع سابق، مادة سن، ج٤، ص٢٣٨.

الدين[1] أيضا.

- **معاني ودلالات السنة في الحديث النبوي الشريف:**

أما في الحديث النبوي الشريف فيأتي مصطلح السنة بمعنى:

• **الطريقة المتبعة في الدين:**

يقول أبو غدة: "فلفظ (السنة) في الحديث النبوي، وكلام الصحابة، والتابعين، معناه: الطريقة المشروعة المتبعة في الدين، لا ما يقابل الفرض، أو الواجب، وهو (السنة) بالمعنى الاصطلاحي عند الفقهاء."[2]

وقال ابن حجر: "المراد بالسنة: الطريقة، لا التي تقابل الفرض... والمراد: من ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري، فليس مني. ولم بذلك إلى طريق الرهبانية... وطريقة النبي ﷺ الحنيفية السمحة..."[3]

• **السيرة المستمرة والطريقة المعتادة:**

قال ابن علان (توفي ١٠٥٧هـ): "فعليكم بسنتي؛ أي طريقتي وسيرتي القويمة التي أنا عليها، مما فصلته لكم من الأحكام الاعتقادية والعملية الواجبة والمندوبة وغيرها. وتخصيص الأصوليين لها بـ: المطلوب طلباً غير جازم: اصطلاح طارئ، قصدوا به التمييز بينها وبين الفرض"[4] قال ابن حجر:" قوله "ثم علموا من القرآن،

---

(١) شرح الشنتمري لفظ "السنن" بـ"دين الإسلام" في بيت أبي تمام:

أن لست نعم الجار للسنن الأولى إلا إذا ما كنت بئس الجار

- الأعلم الشنتمري، **شرح ديوان أبي تمام**، مرجع سابق، ج١، ص٣٤٢.

(٢) أبو غدة، عبد الفتاح. **السنة النبوية وبيان مدلولها الشرعي والتعريف بحال سنن الدارقطني**، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٩٩٢م، ص٩ و١٠، وكذلك ص١٨ و١٩.

(٣) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، مرجع سابق، ج٩، ص١٠٥.

(٤) ابن علان، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي. **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين**، تحقيق: خليل مأمون شيحا، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ج٢، ص٤١٨.

ثم علموا من السنة":[1] فيه إشارة إلى أنهم كانوا يتعلمون القرآن قبل أن يتعلموا السنن، والمراد بالسنن ما يتلقونه عن النبي ﷺ واجباً كان أو مندوباً."[2]

• **الطريق والمنهج:**

قوله ﷺ: "لتتبعنّ سنن من كان قبلكم شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراعٍ... "[3] قال ابن حجر: "قوله: (لتتبعن) بضم العين وتشديد النون (سنن) بفتح المهملة؛ أي طريق (من قبلكم)؛ أي الذين قبلكم وبمعنى السيرة والطريق والآثار."[4]

• **الطريقة:**

الطريقة المتبعة، من ذلك قوله ﷺ: "من سنّ في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء."[5]

قال ابن الأثير: "وفي حديث المجوس "سُنُّوا بهم سُنَّة أهلِ الكتاب؛"[6] أي خذُوهم على طريقتهم وأجْرُوهم في قَبُول الجِزْية منهم مُجْراهُم."[7]

---

(١) سبق تخريجه صفحة (٨٦) من هذا الكتاب.

(٢) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، مرجع سابق، ج١٣، ص٣٩.

(٣) رواه البخاري ومسلم. انظر:

- البخاري، **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قول النبي ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم، ج٦، ص٢٦٦٩، حديث رقم: (٦٨٨٩).

- القشيري، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، كتاب: العلم، باب: اتباع سنن اليهود والنصارى، ج٤، ص٢٠٥٤، حديث رقم: (٢٦٦٩).

(٤) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، مرجع سابق، ج١٣، ص٣٠١.

(٥) سبق تخريجه صفحة (٨١) من هذا الكتاب.

(٦) سبق تخريجه صفحة (٨٣) من هذا الكتاب.

(٧) ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، بيروت: دار الفكر، ط٢، ١٣٩٩هـ. مادة: سنن.

• **العادة والعرف والطبيعة:**

قوله ﷺ: "ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية... "[1] السنة هنا جاءت في سياق معنى ما تعارف عليه الناس واعتادوه، فصار طبعاً لهم.

• **السنة في مقابل القرآن:**

قال ابن حجر: "قوله: (ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة): فيه إشارة إلى أنهم كانوا يتعلمون القرآن قبل أن يتعلموا السنن، والمراد بالسنن ما يتلقونه عن النبي ﷺ واجباً كان أو مندوباً"[2] ونشير إلى أن السنة هنا هي اصطلاح على مفهوم جديد لم يكن معروفاً، حيث إنه إذا أطلق لفظ السنة قصد به كل ما تلقاه الصحابة عن رسول الله ﷺ.

• **السنة بمعنى الهدى:**

قد تجيء السنة بمعنى الهدى فهما معاً يشتركان في معنى الطريقة فعند مسلم وغيره عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً"[3] ومما يقوي هذا المعنى إيراد البخاري في صحيحه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ترجمة بعنوان: باب إثم من دعا إلى ضلالة أو سن سنة سيئة، فكأن السنة الحسنة هي الهدى.

استنتاجات:

من خلال ما سبق يمكن الوقوف على بعض الخلاصات والاستنتاجات:

---

(١) البخاري. **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب: الديات، باب: من طلب دم امرئ بغير حق، ج٦، ص٢٣٢٥، حديث رقم: (٦٤٨٨).

(٢) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، مرجع سابق، ج١٣، ص٣٩.

(٣) القشيري، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، كتاب: العلم، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ج٤، ص٢٠٦٠، حديث رقم: (٢٦٧٤).

openkanal.com

- نسجل اشتراكاً على مستوى بعض دلالات مصطلح السنة في القرآن والحديث؛ إذ يحضر في كليهما بمعنى الطريقة والعادة والأحوال والوقائع وأحكام الدين وشرائعه، واشتراكاً على مستوى بعض سياقات الورود. كما نسجل ورود صيغ لمصطلح السنة في القرآن غير تلك التي وردت في الحديث النبوي الشريف مما يؤكد اتخاذ مصطلح السنة معاني جديدة غير تلك التي وردت في الحديث النبوي؛ كتلك التي تقابل فيها السنة القرآن، أو تلك التي ترد مضافة إلى النبي ﷺ. كما أن القرآن الكريم شدد كثيراً على الأبعاد العقدية والحضارية والتاريخية لمصطلح السنة، فجاء لذلك مضافاً إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإن أضيف إلى غيره فللملابسة فقط.

- أن لفظ سنن أو سنة في آيات القرآن لا ينصرف تحديداً إلى المعنى السابق أو إلى الآية التي قبلها، بل قد تكون آيات، ثم يأتي بعدها ذكر لفظ السنة أو السنن، ليدل على أن المقصود ليس سنة واحدة، وإنما مجموعة من السنن.

- لا سبيل إلى تعريف السنن بمجموع القوانين المتحكمة في ظواهر الكون والمجتمع، فلفظ القانون لا يحيل أبداً على تلك الكثافة الدلالية والخصوبة المعرفية، والنضج الاصطلاحي، والطاقة النفسية التأثيرية والأبعاد العقدية والقيمية والتربوية والحضارية التي تميز مصطلح السنة بوصفه مصطلحاً قرآنياً متميزاً. "فكلمات القرآن المفردة صور من المعاني والحقائق، فكل كلمة رسالة أو كتاب في تحليلها وتفصيل ما طوي فيها، وقد تجري بعض كلمات القرآن في كلام بعض المترسلين، ولكنها لا تقع موقعها الذي يخلع عليها هذا اللون من البراعة البيانية في أسلوب القرآن، وهذا ضرب من ضروب الإعجاز في القرآن لو تتبع لخرج منه علم كثير"[1] فمصطلح السنة ليس مصطلحاً تاريخياً أو

(١) عرجون، محمد الصادق ابراهيم. **القرآن العظيم: هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين**، دمشق: دار القلم، بيروت:الدار الشامية، ط٢، (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، ص١٨٤.

علمياً بالمعنى المادي الوضعي للعلم، وحينما نعرفه بالقانون نفقده خصائصه وطبيعته الربانية والرسالية. على أن دلالة القانون تفيد البشرية والنسبية والوضعية والمادية، مرتبطة بالأساس بمرجعية العلوم الحقة ومناهجها التجريبية[1] وفلسفتها التي ناهضت بها كل ما هو غيبي وديني وأخلاقي. وهو ما يجعل دلالة القانون مناقضة لدلالة مصطلح السنة ويدعونا إلى رفض استعماله في تعريف السنة. ثم إن قوانين العلم لا يمكن المطابقة بينها وبين سنن الله، فتلك القوانين أنساق علمية اجتهادية تقرب الأفهام من إدراك سنن الله تعالى التي تتميز باليقين والمطلق والاطراد والثبات.

- من بين الاستنتاجات الهامة أن سنة الله ترد في القرآن للدلالة دوماً على سنن العمران أو ما يسمى بالسنن الاجتماعية ولا علاقة لها بالسنن الكونية فهذه يعبر عنها القرآن بالآيات ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣]، ولا سبيل إلى الخلط بينهما أو الحديث عن السنن الكونية في القرآن الكريم، ذلك أن معنى السنة في السياق القرآني يختلف عن معنى الآية في ذات السياق، ولذلك لم يصب كل من تحدث عن السنن الكونية بهذا المعنى. وقد تنبه لهذا المعنى ابن تيمية فقال: "وهذه السنن كلها سنن تتعلق بدينه وأمره ونهيه ووعده ووعيده، وليست هي السنن المتعلقة بالأمور الطبيعية كسنته في الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك من العادات."[2]

---

(١) كان الوحي هو المحفز لدخول البشرية طور العلم التجريبي بعد ما كان مذموماً محقراً من لدن فلاسفة اليونان. لكن المنهج التجريبي الغربي عاند الوحي، وخالف الفطرة، وناقض الدين، وتنكر للغيب، وتحيز للنموذج التفسيري المادي؛ إذ المشكلة ليست في المنهج التجريبي بقدر ما هي في فلسفة العلم الموجهة له.

(٢) الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية. **جامع الرسائل: رسالة لفظ السنة في القرآن**، تحقيق: محمد رشاد رفيق سالم، القاهرة: مطبعة المدني، ط١، ١٩٦٩م، ص٥٢.

فمن يتأمل القرآن يجده لا يستخدم لفظ السنن لدى حديثه عما يحكم نظام الطبيعة والكون،[1] بل يأتي به في سياق تاريخي استبصاري لتجارب الأمم والشعوب و مصائرها من خلال علاقتها بمنهج رسالات أنبيائها. أما ما شاع في كتابات المعاصرين من الحديث عن سنن الآفاق وسنن الأنفس فهو يرد في القرآن تحت لفظة آية، والآية نفسها دالة على ذلك: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت: ٥٣]. والمفردة القرآنية ينبغي أن تفهم داخل وحدة القرآن البنائية. إن اختلاف الألفاظ هذا ليس اختلافاً شكلياً، بل هو اختلاف له دلالاته ومعانيه، وقاعدة لا مشاحة في الاصطلاح لا مبرر لها هنا، وهو ما يجعلنا نقف على قضية منهجية مركزية متعلقة برؤية القرآن الكريم، فحيث إن ما يحكم الطبيعة ليس هو ما يحكم المجتمع الإنساني، وحيث إن في الكون آيات وأن المجتمع خاضع لسننية محكمة، فهذا يعني أن منهج تناول الظواهر الكونية وفهمها وتفسيرها مختلف تماماً عن منهج تناول الظاهرة الاجتماعية وفهمها وتفسيرها، وهنا يؤسس القرآن لمنهج علمي لمقاربة الظاهرة العمرانية مفارق للمنهج الوضعي المادي الذي طغى في مقاربات النظريات الغربية للظاهرة الاجتماعية.

إن اكتشاف سنن العمران أو سنن الحضارة أو السنن الاجتماعية أعقد وأشد من اكتشاف الآيات الكونية الآفاقية، كما يحتاج إلى زمن أطول لصياغة المعادلات السننية العمرانية، وإن كانت مرجعية الوحي -قرآناً وسيرة- تشكل أساساً منهجياً ومعرفياً

---

(١) توصلت إلى هذا الرأي بعد تتبع واستقراء، ثم إني عثرت على قول لأحمد حسن فرحات جاء فيه: "استقراء استعمال "سنة الله" في القرآن يرينا أنها واردة في سنن التاريخ والاجتماع، ومن ثم لا يجوز تعميمها على كل السنن بدلالة النص؛ لأن الأصل مراعاة مورد الاستعمال، كما لا يمكن أن تجعل اللزوم لسنن الكون بطريق القياس على "سنن التاريخ والاجتماع" لأنه قياس مع الفارق". وهذا من الموافقات، وإن كنت سلكت طريقاً في التحليل والاستدلال غير ما سلكه فرحات. انظر:

- فرحات، أحمد حسن. **سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول**، عمان: دار عمار، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ص٤٥.

حاسماً في تمكين العقل المسلم من معرفة هذه السنن وإحكام تسخيرها واستثمارها. وقد اقترب عبد الكريم زيدان من هذا المعنى الذي أشرنا إليه دون أن يميز في الحقيقة بين الكون والعمران على مستوى المفردة القرآنية فقال: "وكل الفرق بين الأحداث الكونية المادية وبين الأحداث الاجتماعية هو أن أسباب الأولى واضحة بينة مضبوطة، إذا عرفناها أمكننا الحكم بدقة على نتائجها وميقات هذه النتائج، فالماء مثلاً ينجمد إذا بلغت درجة برودته كذا درجة، ويصل إلى الغليان إذا وصلت درجة حرارته إلى كذا درجة وبعد كذا من الوقت، وهكذا.

أما أسباب الأحداث الاجتماعية فهي بمختلف أنواعها من سياسية واقتصادية وحضارية وعمرانية، وغلبة ونصر وهزيمة وخذلان... إلخ، أسباب دقيقة وكثيرة ومتشعبة ومتشابكة، وقد يعسر على كثيرين الإحاطة بها تفصيلاً... ولكن مع هذا العسر يمكن للمتأمل الفاحص الدقيق أن يعرفها ويحيط بها علماً، كما يمكنه الجزم بحصول نتائج معينة بناء على أسباب معينة وإن لم يمكنه الجزم بميعاد حصول هذه النتائج، فنستطيع مثلاً أن نحكم على وجه الجزم واليقين بزوال حكم أو سلطان إذا وجدناه قائماً على الظلم والإرهاب، وإن كنا لا نستطيع تحديد وقت زواله على وجه الدقة والضبط كما نحدد ميعاد غروب الشمس أو شروقها. ومن أجل هذا الفرق بين الأحداث الكونية المادية والأحداث البشرية، يغفل الناس كثيراً عن سنة الله في الاجتماع البشري وفي تصرفات وسلوك الأفراد والأمم، ويظنون أن أمورهم لا تخضع كما تخضع الظواهر الكونية لقانون الأسباب والمسببات."[1]

إن اعتمادنا على مفهوم السنن دون الاستعاضة بغيره من المفاهيم مثل القانون؛ فلأن مفهوم القانون مفهوم مادي مغلق وساذج، ولا يستيطيع تفسير الظواهر التاريخية والحضارية في كونيتها وكليتها وعلاقتها بجدلية الغيب والطبيعة والإنسان، وقبل ذلك فنحن نبقي على الأصل القرآني لمفهوم السنن بما يحمله من أبعاد الرؤية

(١) زيدان، **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد**، مرجع سابق، ص٢٤-٢٥.

التوحيدية الكونية. فنحن اليوم نعيش كما اصطلح عليه أحد علماء الاجتماع الغربيين بـ"إمبريالية المقولات". فالغرب يحدد نماذج معرفية ومقولات تحليلية وأطراً إدراكية جاهزة تؤسس لنمط غربي في فهم الواقع وتفسير ظواهر الكون والمجتمع، متحيز بطبيعته للخلفية الفلسفية الغربية القائمة على الرؤية المادية الاختزالية التجزيئية السطحية الاستبعادية والأحادية.

ويمكن صياغة هذه المعاني الجزئية في تعريف كلي جامع فنقول:

السنة في الاصطلاح القرآني والحديثي هي أقدار الله تعالى وأحكامه القدرية والتكوينية التي جرت بها عادته في وقائع الاجتماع الإنساني، وأحوال العمران البشري وطبائعه: تداولاً وتدافعاً وتجديداً، بحسب تحقق الخلق -اختياراً- بمقتضيات الميثاق الإلهي، ومقومات التوحيد والاستخلاف والعمران، فيجازى بذلك -عدلاً بلا محاباة- من وافقها، ويعاقب من خالفها، ابتلاء للمؤمنين وهداية وتأييداً، وإملاء للكافرين استدراجاً وإهلاكاً.

ثالثاً: الدلالة المعجمية (اللغوية والاصطلاحية) للفظ العمران:

١- العمران في اللغة:

العمران اسم ومصدر كما ذكر ابن فارس،[١] وهو يؤول إلى مادة"عمر"، والعين والميم والراء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على بقاء وامتداد زمان، والآخر على شيء يعلو، من صوت أو غيره.[٢] ومدار مادة "عمر" في معاجم اللغة على المعاني الآتية:

أ- الإقامة: يقال عمرنا بالمكان نعمر به، إذا أقمنا فيه،[٣] ومن معنى البنيان وما

---

(١) ابن فارس. **معجم مقاييس اللغة**، مرجع سابق، مادة عمر، ج٤، ص١١٤.

(٢) المرجع السابق، ج٤، ص١١٤.

(٣) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن. **الاشتقاق**، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت: دار الجيل، ط١، (١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، مادة عمر، ص١٤.

يعمر به البلد ويحسن حاله[١] وعَمِرَ بالمَكَانِ إذا أَقامَ به. والعامِرُ: المُقِيمُ.[٢] ويذكر الأصفهاني في معنى العمارة أنّها: "نقيض الخراب؛"[٣] إذ الإقامة لا تكون إلا في مكان وأرض (البعد المادي).

ب- الإصلاح: قال ابن دريد (توفي ٣٢١هـ): "وعمارة الشيء: إصلاحه"[٤] "وتقول: عمرت المكان أعمره عمارة، إذا أصلحته"[٥] (البعد الرسالي الاستخلافي).

ت- الحفظ: قال الأصفهاني: "العمار ما يضعه الرئيس على رأسه عمارة لرئاسته، وحفظاً له ريحاناً كان أو عمامة" ومنه سمي العمران كذلك لما يحفظ به حياة الإنسان من الفساد والخراب، وارتباط المعنى الذي ذكره الأصفهاني بالرئيس فيه دلالة على أن العمران لا يقوم إلا بسلطة سياسية تنظمه وتحميه (البعد المقاصدي المصلحي).

ث- القبيلة: والعمارة الحي العظيم يقوم بنفسه... فمن فتح (العين) أراد التفاف الحي بعضه على بعض، ومن كسرها جعله بمنزلة عمارة المنزل؛ أي: عمروا الأرض فهم لها عمارة.[٦] "والعمارة: القبيلة العظيمة من العرب. قال الثعلبي:

لكن أناس من معد عمارة عروض إليها يلجئون وجانب"[٧]

(البعد الإنساني البشري).

---

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، مادة عمر، وانظر أيضاً:

- الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، مرجع سابق، مادة عمر، ص٣٤٧.

(٢) الزبيدي. **تاج العروس**، مرجع سابق، مادة عمر.

(٣) الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، مرجع سابق، ص٣٤٧.

(٤) ابن دريد، **الاشتقاق**، مرجع سابق، مادة عمر، ص١٤.

(٥) المرجع السابق، ص١٥.

(٦) ابن السكيت، **كتاب الألفاظ**، مرجع سابق، ص٢٦.

(٧) ابن دريد. **الاشتقاق**، مرجع سابق، ص١٤.

جـ- العبادة أو الزيارة للتعبد: "عمرت ربي... خدمته"[١] قال الزمخشري (توفي ٥٣٨هـ) "عمر الله إذا عبده"[٢] ومنه معنىٰ العمرة والاعتمار، فاعتمر البيت؛ أي زاره[٣] وقصده بنية التعبد وأداء الشعائر. والمعْمورُ المخدومُ.[٤] (البعد الشعائري التعبدي).

حـ- الوحدة الزمنية أو معنىٰ الحياة: قال ابن الأثير: "يقال: أَعْمَرْتُه الدارَ عُمْرَىٰ؛ أي جَعَلتها له يَسْكُنها مُدَّة عُمْرِه"[٥] عمره الله وعمره: أبقاه[٦] ويقال عمرك الله؛ أي: أبقاك الله[٧] وعمره الله تعميراً: طول عمره،[٨] ومنه معنىٰ الملازمة، قال ابن منظور: "وعَمَر الرجلُ مالَه وبيتَه يَعْمُره عِمارةً وعُموراً وعُمْراناً لَزِمَه. وأَنشد أَبو حنيفة لأَبي نخيلة في صفة نخل:

أَدامَ لها العَصْرَيْنِ رَيّاً ولم يَكُنْ كما ضَنَّ عن عُمْرانِها بالدراهم"[٩]

وعَمِرَ الرجلُ يَعْمَرُ عَمَراً، وعَمارةً، وعَمْراً، وعَمَر يَعْمُرُ، ويَعْمِر، الأَخيرة عن سيبويه كلاهما: عاشَ وبقي زماناً طويلاً، قال لبيد:

---

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، مادة عمر.

(٢) ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، بيروت: دار المعرفة، ط١، (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، مادة عمر.

(٣) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. **مختار الصحاح**، طرابلس: المؤسسة الحديثة للكتاب، ٢٠٠٠م، مادة (عمر)، ص٣٨٥، وانظر أيضاً:

- الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، مرجع سابق، مادة (عمر)، ص٣٤٧.

(٤) ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، مادة (عمر).

(٥) ابن الأثير. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مرجع سابق، مادة (عمر).

(٦) ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، مادة (عمر).

(٧) ابن السكيت. **كتاب الألفاظ**، مرجع سابق، ص٤٣٤.

(٨) الرازي، **مختار الصحاح**، مرجع سابق، مادة (عمر)، ص٣٨٥.

(٩) ابن منظور. **لسان العرب**، مرجع سابق، مادة (عمر).

وعَمَرْتُ حَرْساً قبل مَجْرَىٰ داحِسٍ لـو كـان للـنفس اللَّجُـوج خُلُـودُ

وأَنشد محمد بن سلام كلمة جرير:

لـئن عَمِـرَتْ تَـيْمٌ زَمانـاً بِغِـرّةٍ لقد حُـدِيَتْ تَـيْمٌ حُـداءً عَصَبْـصَبا

ومنه قولهم: أَطال الله عَمْرَك وعُمْرَك.[1] ويبدو أن الراغب قد استنبط من كلمة العمر دلالة عمران بدن الإنسان بالحياة. ولذلك قال: "العمر والعمر: اسم لمدة عمارة البدن بالحياة فهو دون البقاء، فإذا قيل طال عمره فمعناه عمارة بدنه بروحه"[2] (البعد الزمني)، وفيه معنىٰ ارتباط كل عمران بمدة زمنية لا يتعداها وفق سنن الله، فإن كان عمراناً رسالياً محافظاً علىٰ وعيه التسخيري الاستخلافي كانت مدة تمكينه علىٰ حسب ذلك إلىٰ أن تقوم الساعة.

خ- القصد: واعتمر الأمر: أمه وقصد له[3] (البعد القيمي الهادف).

د- الإذن في العمارة: ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]؛ أي أذن لكم في عمارتها واستخراج قوتكم منها وجعلكم عمارها[4] وأعمرته الأرض واستعمرته: إذا فوضت إليه العمارة.[5]

يعبر الجذر اللغوي "عمر" عن ثراء وخصوبة اشتقاقية يفهم من خلالها أن العمران منظومة معرفية ومقاصدية كبرىٰ وليس مجرد لفظ أو مصطلح، فالعمران إقامة وإصلاح وعبادة وقصد وجهد، وممارسة للبناء تتم في الزمان والمكان، وبذلك يتعارض معنىٰ العمران مع الفساد والعبث والسلبية، ويحمل في معناه اللغوي الأبعاد

(١) المرجع السابق، مادة (عمر).

(٢) الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، مرجع سابق، مادة (عمر)، ص٣٤٧.

(٣) ابن منظور. **لسان العرب**، مرجع سابق، مادة (عمر).

(٤) المرجع السابق، مادة (عمر).

(٥) الراغب الأصفهاني. **المفردات في غريب القرآن**، مرجع السابق، مادة (عمر)، ص٣٤٧.

الأساسية التي يقوم عليها العمران الإسلامي وهي: البعد الإنساني البشري، والبعد المادي، والبعد الزمني، والبعد الشعائري التعبدي، والبعد القيمي الهادف، والبعد الرسالي التسخيري الاستخلافي، والبعد التنظيمي. ولذلك فبين مصطلح العمران وأصله اللغوي وجوه من المناسبة استغرقت جوانبه كلها على المستوى الشكلي العام.

٢- الدلالة الاصطلاحية العامة لمصطلح العمران:

مصطلح العمران -في الاصطلاح العام- واحد من المصطلحات التي اكتست طبيعة خاصة بحكم أصله القرآني وطبيعته المقاصدية، وكونه من الكليات الأساسية لتحقيق مقتضيات التسخير والاستخلاف. وقد أشار المفسرون وعلماء الأمة إلى كثير من الدلالات الاصطلاحية لمصطلح العمران، بل شكل مركز الرؤية وحجر الزاوية في الإبداع الخلدوني ضمن المنظور التاريخي والاجتماعي، وأيضاً في الإبداع الشاطبي ضمن المنظور المقاصدي لكليات الشريعة. وإن كنا نسجل ملاحظة أساسية وهي عدم اهتمام كثير من المفسرين[(١)] بمصطلح العمران بوصفه وحدة كلية ومنظومة نسقية تشكل رؤية الإسلام للإنسان والحياة. فالإغراق في منهج فهم الآيات بعيداً عن الوحدة البنائية والموضوعية والسياقية أوقع كثيراً من التفاسير في نزعة تجزيئية عجزت عن إدراك الإطار المعرفي والمنهجي لمصطلح العمران، وافتقرت بذلك إلى تقديم رؤية قرآنية عن العمران.

أ- أقوال المفسرين:

- ابن جرير الطبري:

قال الطبري: " ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، يقول: وجعلكم عماراً فيها، فكان

---

(١) أشرنا هنا إلى غالب المفسرين دون جميعهم لأننا لا ندعي تتبع كل التفاسير، لكن ثمة إشارات نفيسة لدى بعض المفسرين المتقدمين أمثال: الرازي في "**التفسير الكبير**"، وابن عطية في "**المحرر الوجيز**"، ولدى بعض المعاصرين أمثال: رشيد رضا في "**تفسير المنار**"، وسيد قطب في "**في ظلال القرآن**"، والطاهر بن عاشور في "**التحرير والتنوير**".

المعنى فيه: أسكنكم فيها أيام حياتكم"[1] يدل الاستعمار الإلهي للخلق في الأرض كما يرى الطبري على الإسكان والإقامة والحياة، وفيه معنى دلالة العمران على الحياة والاستقرار، فلا معنى لعمران بلا استقرار.

- **القرطبي:**

قال القرطبي: "﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]؛ أي جعلكم عمارها وسكانها."[2]

وقال أيضاً: "قال مجاهد: ومعنى استعمركم: أعمركم من قوله: أعمر فلان فلاناً داره؛ فهي له عمرى. وقال قتادة: أسكنكم فيها؛ وعلى هذين القولين تكون استفعل بمعنى أفعل؛ مثل استجاب بمعنى أجاب. وقال الضحاك: أطال أعماركم، وكانت أعمارهم من ثلاثمائة إلى ألف. قال ابن عباس: أعاشكم فيها قال زيد بن أسلم: أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه فيها من بناء مساكن، وغرس أشجار. وقيل: المعنى ألهمكم عمارتها من الحرث والغرس وحفر الأنهار وغيرها."[3]

- **أبو بكر بن العربي:**

قال ابن العربي: "قال بعض علماء الشافعية الاستعمار طلب العمارة؛ والطلب المطلق من الله تعالى على الوجوب، قال القاضي أبو بكر: تأتي كلمة استفعل في لسان العرب على معان: منها؛ استفعل بمعنى طلب الفعل كقوله: استحملته؛ أي طلبت منه حملاناً، وبمعنى اعتقد، كقولهم: استسهلت هذا الأمر اعتقدته سهلاً، أو وجدته سهلاً، واستعظمته؛ أي اعتقدته عظيماً ووجدته. ومنه استفعلت بمعنى أصبت؛ كقولهم: استجدته؛ أي أصبته جيداً: ومنها بمعنى فعل، كقوله: قر في المكان واستقر؛ وقالوا وقوله: "يستهزئون" و"يستسخرون" منه؛ فقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١] خلقكم لعمارتها، لا على معنى استجدته واستسهلته؛ أي أصبته جيداً وسهلاً؛ وهذا

---

(١) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مرجع سابق، ج١٥، ص٣٦٨.

(٢) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مرجع سابق، ج٩، ص٥١.

(٣) المرجع السابق، ج٩، ص٥١.

يستحيل في الخالق، فيرجع إلى أنه خلق؛ لأنه الفائدة، وقد يعبر عن الشيء بفائدته مجازاً، ولا يصح أن يقال: إنه طلب من الله تعالى لعمارته قلت: معنى القرآن يجري مع أهل القول الثاني؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال: ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١] بمعنى أعمركم؛ فأعمر الرجل الصالح فيها مدة حياته بالعمل الصالح، وبعد موته بالذكر الجميل والثناء الحسن، وبالعكس الرجل الفاجر، فالدنيا ظرف لهما حياة وموتاً."[١]

- **الراغب الأصفهاني:**

قال الأصفهاني: "واستعمرته إذا فوضت إليه العمارة، قال: ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]."[٢]

- **الجصاص (توفي ٣٧٠هـ):**

قال الجصاص: " ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١] يعني أمركم من عمارتها بما تحتاجون إليه، وفيه الدلالة على وجوب عمارة الأرض للزراعة والغراس والأبنية."[٣]

- **الشوكاني:**

قال الشوكاني: "﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]؛ أي جعلكم عمارها وسكانها."[٤]

- **الزبيدي:**

قال الزبيدي: " ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٨]. إِمَّا من العِمَارَة التي هي حِفْظُ البِناء أَو من العُمْرة التي هي الزيارة أو من قولهم: عَمِرْتُ بمَكَانِ كذا أَي أَقَمْتُ به."[٥]

---

(١) ابن العربي، محمد بن عبد الله الأندلسي. **أحكام القرآن**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٨م، ج٥، ص١٩.

(٢) الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، مرجع سابق، مادة عمر، ص٣٤٧.

(٣) الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي. **أحكام القرآن**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م)، ج٣، ص٣٧٨.

(٤) الشوكاني، محمد بن علي. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، بيروت: دار المعرفة، (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٤م)، ج١، ص٦٦٣.

(٥) الزبيدي، **تاج العروس**، مرجع سابق، مادة (عمر).

- **الطاهر بن عاشور:**

يقول ابن عاشور في تفسيره لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١] "والاستعمار: الإعمار؛ أي جعلكم عامريها، فالسين والتاء للمبالغة كالتي في استبقىٰ واستفاق. ومعنىٰ الإعمار أنهم جعلوا الأرض عامرة بالبناء والغرس والزرع لأن ذلك يعد تعميراً للأرض حتىٰ سمي الحرث عمارة لأن المقصود منه عمر الأرض."[1]

استنتاجات:

نستنتج من أقوال المفسرين أن:

- طلب العمارة، هو طلب وجوب، فلا وجود لقرينة دالة تصرفه عن هذا الوجوب. فالاستعمار أمر إلهي، وتكليف شرعي بعمارة الدنيا بحسب ما يحتاج إليه الإنسان ويحقق مقاصده من الخلق.
- اقتصار جل المفسرين في بيانهم لدلالة العمارة والاستعمار علىٰ البعد المادي والزمني فقط، دون الانفتاح علىٰ بقية الأبعاد الأخرىٰ التي يفيدها التداول اللغوي والمصطلحي لمصطلح العمران، وهو ما تستدعيه الرؤية القرآنية الكلية للعمران من خلال النظر في جميع الآيات نظرة موضوعية بنائية تكاملية.
- الاستعمار عند كثير من المفسرين هو الإعمار والتعمير.

ب- تعريف ابن خلدون والمعاصرين:

تجدر الإشارة ابتداء إلىٰ أن استعمال مصطلح العمران قد شاع في الدراسات الجغرافية وما تعلق منها بالإسكان والتعمير، وكذا الأبحاث المعمارية المتعلقة بدراسة البنيان من جهة شكله وحجمه وجماليته وقيمه ودلالته علىٰ الهوية الثقافية للمجتمع، فارتبط بذلك مصطلح العمران بالبعد المادي وما يحيل عليه من قيم اجتماعية وثقافية. في حين وظف مصطلح الحضارة أو التحضر بدل مصطلح العمران في الدراسات

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج١٣، ص١٠٨.

التاريخية والحضارية وأبحاث فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع. ولئن كنا نعدّ أن المصطلح القرآني مصطلح رباني يتميز بالامتلاء والقوة الاصطلاحية، فإننا سنعرض أولاً ما تحصل عندنا من تعريفات المعاصرين، ثم نتبعه بتعريفات بعضهم للحضارة أو التحضر مع التعليق عليها وبيان ما بينها وبين مصطلح العمران من تباين واختلاف. على أننا سنقدم على ذلك كله تعريف ابن خلدون وإن لم يكن من المعاصرين بوصفه أول من أفرد كلاماً خاصاً ومفصلاً عن العمران في كتابه المقدمة.

- تعريف المؤرخ العلامة ابن خلدون (توفي ٨٠٨هـ):

يقول ابن خلدون: "التَّساكُن والتَّنازُل في مصر أو حلَّةٍ للأنس بالعشير واقتِضاء الحاجات؛ لما فيه من طباعِهِم من التعاون على المعاش. ومن العمران ما يكون بدويّاً، وهو الذي يكون في الضواحي والجبال... ومنه ما يكون حضريّاً، وهو الذي في الأمصار والقرى والمدن والمدائر -ج مدر- للاعتصام بها والتحصن بجدرانها."[1]

يؤسس ابن خلدون تعريفه للعمران على نزعة إنسانية ورؤية مقاصدية ترى في العمران ضرورة إنسانية واجتماعية لا تتحقق المصالح ولا تشبع الحاجات الأساسية الفردية والجماعية إلا به. ويتعلق معنى العمران على اختلاف أحواله وعاداته وطبائعه عند ابن خلدون بالاستقرار المفضي إلى قيم التساكن والتساند والتعاون سواء ارتبط بالمجال الجغرافي البدوي أو الحضري. ويحمل مفهوم العمران عبر صفحات مقدمة ابن خلدون أبعاداً اجتماعية وأنثروبولوجية وثقافية واقتصادية وقيمية وتاريخية تؤكد على أن العمران ليس مفهوماً مادياً طبيعياً، أو مجرد حالة ساكنة من الاجتماع البشري وإنما هو نظام وجودي دال على حركية التجربة الإنسانية في تفاعلها مع الدين والطبيعة، ودال أيضاً على جدلية المادي والمعرفي والاجتماعي والرمزي والجمالي والقيمي في إنتاج ظواهر ومجالات عمرانية ينتظم وفق قواعدها وضوابطها وشروطها المجتمع الإنساني.

---

(١) ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد. **المقدمة**، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، القاهرة: دار نهضة مصر، ٢٠٠٦م، ج٣، ص٨٧٦.

ثم إن ابن خلدون كان مدركاً للفرق بين الحضارة والعمران؛ إذ العمران عنده أعم من الحضارة التي هي حال من أحوال العمران. ويوظف ابن خلدون عدته المفهومية الأصولية لضبط الفرق بين المصطلحين، فبين أن الحضارة هي أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران، زيادة تتفاوت بتفاوت الرفه.[1]

- **تعريف محمود محمد سفر (ولد: ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م):**

يقول محمود سفر: "لابد أن نقر بأن البناء الحضاري ومظاهر التقدم ما هي إلا آثار تفاعل الأمة والمجتمع مع البيئة بما فيها من قوى خلقية وسنن كونية وموارد مادية استجابة من الأمة لدوافع البناء وحاجاته كما هو تعبير عن ما تمثله الأمة من قيم ومعان وغايات نابعة من أعماق أبناء تلك الأمة وكيانها العقائدي والنفسي والفكري؛ لأن صروح الحضارات لا تبنى دوماً ولا ترتفع أبداً إلا حين تتبلور رؤى الأمم وتتضح غاياتها فتدب الحركة والحياة في حوافزها وتنطلق طاقاتها، وتقوم مؤسساتها لتعبر مادياً عن تلك القيم والمعاني والغايات، فتعمر الأرض وتقوم الحضارة، وتبقى العمارة ما بقي ذلك التفاعل، وتظل الحضارة ما ظلت تلك القيم والمبادئ."[2]

يسعى هذا التعريف إلى الاقتراب أكثر من الدلالة الاصطلاحية لمفهوم العمران باستحضاره للعناصر الآتية:

- العمران حركة تفاعلية لمكونات الأمة والمجتمع مع الطبيعة والوجود وما يحكم ذلك الوجود العمراني من سنن ناظمة ومنتظمة لظواهره واحواله.
- اعتبار العمران فاعلية وفعالية وإنتاجية تتكامل فيها أبعاد مادية وعقدية وإنسانية وقيمية لا يصح العمران أبداً بافتراقها وانفصال بعضها عن بعض.

---

(١) المرجع السابق، ج٢، ص٥٣٢-٥٣٥-٥٤١.

(٢) سفر، محمود محمد. **الحضارة تحد**، سلسلة الكتاب العربي السعودي، العدد (٢٤)، جدة: تهامة، (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص١٠.

- العمران سنن وقيم ومعان وغايات تتحدد بمنظومة عقدية وفكرية تستجيب لحاجات العمران ذاته.

- مفهوم العمران تعبير عن ذلك البناء والصرح الحضاري النابع من رؤية الأمة المعرفية المتوازنة التي تستحضر القيم والمبادئ في تفاعلها مع الوجود.

- تعريف سعيد رمضان البوطي (توفي ٢٠١٣):

يقول رمضان البوطي: "فعمارة الأرض بمعناها الشامل تشمل إقامة مجتمع إنساني سليم، وإشادة حضارة إنسانية شاملة، ليكون الإنسان بذلك مظهراً لعدالة الله تعالى وحكمه في الأرض... إنّ مهمته تحقيق جامعة إنسانية فعّالة في سبيل النهوض بعمارة هذا الكوكب الأرضي، العمارة الكلية الشاملة لكل ما تتسع له كلمة "العمارة" من المعاني المادية والعلمية والاقتصادية."[١]

يؤسس البوطي فهمه للعمران وعمارة الأرض على ضرورة الوعي بالمنظور الشامل لدلالة مصطلح العمران الذي يستحضر المعاني المادية والعلمية والاقتصادية، كما يسعى البوطي في تحديده لمعنى العمران إلى ربطه بغاية كبرى تتجلى في إقامة مجتمع وحضارة إنسانية راشدة، وإشاعة قيم العدل والإيجابية والفعالية للنهوض بواجب الاستخلاف.

- تعريف فريد الأنصاري (توفي ٢٠٠٩):

يقول فريد الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ليس المقصود بالعمران في اصطلاح هذا الكتاب هو تخطيط البناء المادي وهندسته فحسب، كلا! وإنما المقصود به هندسة المذهبية الحضارية الكامنة في الإنسان. التي كان بمقتضاها كما كان. العمران إذن: هو بناء الإنسان، بما هو عقيدة وثقافة، وبما هو حضارة وتاريخ، وبما هو فكر ووجدان، وبما هو نفس ونسيج اجتماعي."[٢]

---

(١) البوطي، محمد سعيد رمضان. **منهج الحضارة الإنسانية في القرآن**، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٢م، ص٢٦-٢٧.

(٢) الأنصاري، فريد. **الفطرية: بعثة التجديد المقبلة؛ من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام**، منشورات رسالة القرآن، رقم: (٣)، المغرب، ٢٠٠٧م، ص٢٠٩.

ينبه الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أن مصطلح العمران يتجاوز دائرة الهندسة المادية نحو الهندسة الحضارية الكلية الرامية إلى بناء الإنسان عقدياً، وثقافياً، ووجدانياً، ونفسياً، واجتماعياً.

- تعريف مسفر بن علي القحطاني:

يقدم مسفر القحطاني تعريفاً للعمران بقوله: "إن مفهوم العمران ليس مفهوماً مادياً بحتاً، وإنما هو أثر لقوة العلم والقيم وعمق الوعي بسنن التحضر والمدنية، وأكثر نصوص الوحي كانت لهذا البناء الإنساني أولاً، وإيجاد المستلزمات الضرورية لإصلاح معتقده ونفي صور الانحرافات الشركية والكفرية من عقله وسلوكه، وتنقيته من رواسب الجاهلية وأخلاقياتها المادية."[(١)]

يقوم التعريف الذي اختاره مسفر القحطاني لمصطلح العمران على العناصر الآتية:

- ثنائية وجدلية العلم (المعرفة) والقيم (الأخلاق) في تشييد صرح العمران.
- يقدم مسفر تعريفاً للعمران من منظور سنني يستحضر ضرورة الوعي بسنن التحضر والمدنية، وهذا يفيد أن العمران هو الغاية القصوى من التحضر والمدنية.
- العمران بناء إنساني تتكامل فيها أبعاد متعددة تتجاوز حدود ماهو مادي بحت.
- دعوة الوحي إلى اعتبار العمران منظومة مركبة من عناصر مختلفة تراعي تحقيق الإصلاح العقدي والفكري والسلوكي.

- تعريف أبي يعرب المرزوقي (توفي ١٩٤٧):

يعرف أبو يعرب المرزوقي العمران بقوله:" العمران من حيث هو وجود كوني للبشرية يتعين في الثقافات الخاصة بصورة عامة وفي أعيان الأشخاص بصورة خاصة لأن الثقافات والأشخاص هي في الوقت نفسه ثمرة الاجتهاد (المعرفة النظرية

---

(١) القحطاني، مسفر بن علي. **الوعي المقاصدي: قراءة معاصرة للعمل بمقاصد الشريعة في مناحي الحياة**، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، ٢٠٠٨م، ص١٠٤.

والعملية)، والجهاد (المؤسس على نوعي المعرفة)، وثمرة وظائفهما ومؤسساتهما... ففي الاجتهاد تكون صورة العمران (النظام التربوي والنظام السياسي) متقدمة على مادته (الاقتصاد والمجتمع)، لأنها تتعلق أساساً بالمعرفة النظرية والعملية من حيث هي تواص بالحق... ومن حيث هي أحد مقومات الأمة المكلفة بالشهادة على العالمين بالصورة التالية: أ- فصورة العمران تتعلق بالنظامين التربوي (مقصد العقل)، والسياسي (مقصد العرض) القادرين على إنتاج الشخص والجماعة المستثنين من الخسر. ب- ومادة العمران تتعلق بالنظامين الاقتصادي (مقصد المال)، والاجتماعي (مقصد الدين) القادرين على تحقيق الشخص والجماعة المستثنين من الخسر. وفي الجهاد ينعكس الأمر فتتقدم مادة العمران على صورته؛ لأنه مهتم أساساً بتطبيق المعرفة النظرية المجردة والمطبقة المجردة من حيث هي تواص بالصبر."[1]

يقدم المرزوقي تعريفه للعمران معتمداً في ذلك على خلفية أنتروبولوجية وفلسفية وعلى رؤية مقاصدية شرعية، فالعمران وجود كوني واجتماع إنساني عالمي يعبر عن منظومة تتداخل فيها العناصر الرمزية والمادية والمعرفية والعملية والقيمية، تحقيقاً لعمليتي الاجتهاد المعرفي والجهاد العملي؛ وهو ما يعني ضرورة تأهيل النظامين التربوي والسياسي لبناء الوجود الرمزي والفعلي للعمران، وتأهيل النظامين الاقتصادي والاجتماعي لبناء الوجود المادي والوجود الذوقي الجمالي للعمران.

- تعريف زياد الدغامين:

يقول زياد الدغامين: "إنّ الإعمار هو كلّ عمل إنساني متصف بالصلاح والإصلاح، مادياً كان أو معنوياً، يهدف إلى تحقيق العبودية لله تعالى، والقيام بواجب الخلافة في الأرض؛ أي أنّ إعمار الكون يمثل عملية بناء محكمة للإنسان والحياة، مهتدية بهدايات الوحي قرآناً وسنّة، وهادفة إلى معرفة الله ومرضاته، ومحقّقة لمهامّ

(١) المرزوقي، أبو يعرب. **النخب العربية وعطالة الإبداع في منظور الفلسفة القرآنية**، تونس: الدار المتوسطية للنشر، ط١،(١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)، ص٢٢٠-٢٢١.

الإنسان في هذا الوجود."[1]

يحدد زياد الدغامين بدقة ووضوح دلالة العمران والإعمار: طبيعته وبنيته ووظيفته. فيربط مفهوم الإعمار بالصلاح والإصلاح تأكيداً على الدلالة الإيجابية لهذا المفهوم، وعلى حركيته الفاعلة في إحداث الإصلاح المهتدي بهدايات الوحي. ولذلك يكون العمران أو الإعمار حسب هذا التعريف سيرورة بنائية متنامية ومتدرجة تستهدف صلاح وإصلاح الإنسان والحياة، من خلال قيام هذا الإنسان بواجب الاستخلاف والعبودية لله تعالى، وتوجيه الحياة نحو معرفة الله ونيل مرضاته. ويبدو أن الدغامين قد استحضر بعض المفاهيم الكبرى في الرؤية القرآنية للعمران البشري وهي: التوحيد والاستخلاف والتزكية، كما استحضر تلك الرؤية الكلية القرآنية للعمران في أبعاده المادية والمعنوية.

- تعريف فتحي ملكاوي:

يحدد ملكاوي دلالة العمران فيقول: "العمران في المصطلح القرآني هو عمران الأرض بحياة الإنسان، وعمران حياة الإنسان بالخير والعمل الصالح، والارتقاء بأسباب الحياة ومقوماتها بإنجازات عمرانية مادية ومعنوية. يتعزز معنى العمران بمعرفة ما يقابله، فهو حياة مقابل الموت، وصلاح وبناء مقابل الخراب والدمار والهلاك، كما يتعزز معنى العمران بمعرفة الأصل الذي يتفرع عنه، فالإيمان -عقلاً وقلباً، وإقامة الحياة على أساس الهدى عملاً وتطبيقاً- هو الأصل، والعمران بالنعيم الدنيوي والأخروي نتيجة."[2]

يؤسس ملكاوي فهمه للعمران اعتماداً على رؤية القرآن وموارد لفظ العمران فيه، ليستنتج تشكل معادلة العمران في النص القرآني من: الأرض والإنسان و الإيمان

---

(١) الدغامين، زياد خليل. "إعمار الكون في ضوء نصوص الوحي"، **مجلة إسلامية المعرفة**، العدد (٥٤)، السنة (١٤)، (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، ص٣٦.

(٢) ملكاوي، فتحي. "العمران في منظومة القيم الحاكمة"، **مجلة إسلامية المعرفة**، عدد (٥٩)، السنة (١٥)، (١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، ص٢٣.

والعمل الصالح. إن تفاعل عناصر هذا المركب العمراني هو الذي يحقق حياة إنسانية إيجابية فاعلة منتجة لإنجازات مادية وعمرانية بمقومات وأسس مستمدة من هدايات الوحي تجعل من نتائج هذا العمران تتجاوز حدود الدنيا لتبلغ بمداها الآفاق اللامحدودة لنعيم الآخرة.

- تعريف صالح النشاط وأم كلثوم نوار:

"وتفسر عمارة الأرض بأن يكون المسلم منتشراً في الأرض بصفته عاملاً منتجاً للخير والمعروف المادي والمعنوي، على أساس هدىً من الله تعالى، الذي لن يجده إلا في إخلاص وتوجيه العبادة لله عَزَّوَجَلَّ، وتحقيق مقاصدها الداعمة لخلق الحياة الطيبة على الأرض."[1]

يؤكد هذا التعريف على ارتباط العمران وعمارة الأرض برسالة المسلم في الحياة وحيوته وإيجابيته المنتجة للخير والمعروف المادي والمعنوي. وقد ركز هذا التعريف على غايات العمران ومقاصده المتعلقة بالجهد الرسالي للمسلم في إنتاج الحياة الطيبة المسددة بالوحي والمستهدية بقيم الإخلاص والعبودية الحقة الشاملة لله تعالى.

المحصل من التعريفات

- العمران مصطلح اقترحه العلامة ابن خلدون في مقدّمته؛ للدّلالة على علم جديد، وعلى نمط من الحياة بوجه عام، جاعِلاً إيَّاه أحد الخواصّ التي تميَّز بها الإنسان عن سائر الحيوانات، وقدِ استلهمه ابن خلدون من قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴿٦١﴾﴾ [هود: ٦١].

- من الناحية الاصطلاحية العمران هو حال من الاجتماع الإنساني الضروري، لتحقق مجموعة من المقاصد، ودفع المفاسد، وجلب المصالح، وتبادل العديد منها بين

---

(١) النشاط، صالح. ونوار، أم كلثوم. **التنمية البشرية من منظور فقه عمارة الأرض**، الرباط: مطبعة طوب بريس، ٢٠١١م، ص١١٢.

الناس، ليكْمُلَ وجودُهم وما أراده الله من اعتمار العالم بهم ومن استخلافه إياهم، وهو ما يحقق أهداف العمران وغاياته، ويضبط مجالاته وطبائعه وأحواله وعاداته.

وقد تمت الإشارة سلفاً إلى أن كثيراً من الباحثين يستعملون مصطلح الحضارة والتحضر للدلالة على معنى العمران. ولا يخفى ما في ذلك من التجاوز وعدم إدراك خصوصية المصطلح القرآني، لا سيّما لما صار يحمله مصطلح الحضارة في الاستعمالات المعاصرة من دلالات مادية وتقنية تحيل على المنظومة الثقافية والقيمية لهذه الحضارة أوتلك. ذلك لأنه "وبعيداً عن إضفاء أيّة قيمة حسنة على مفهوم الحضارة فقد تكون الحضارة لا تناسب الحياة البشرية أو مدمرة لها"[1] وقد استعمل كثيراً المفكر الجزائري مالك بن نبي (توفي: ١٩٧٣م) مصطلح الحضارة في كتاباته ومؤلفاته[2] مبرزاً تلك المعادلة التي اشتهرت عنه؛ الحضارة = إنسان+ زمن+ تراب (أرض)، متأثراً في استعماله لمصطلح الحضارة بالكتابات الأنتروبولوجية الأنجلوساكسونية التي تضفي على مصطلح الحضارة كثيراً من دلالات مصطلح الثقافة، وإن كان مالك بن نبي قد سعى إلى التمييز بينهما على أساس أن كل حضارة ليست سوى تعبير عن ثقافة معينة. كما استعمل عبد المجيد النجار في الجزء الأول[3] من ثلاثيته الموسومة بـ"الشهود الحضاري للأمة الإسلامية" مصطلح التحضر الإسلامي باعتبار التحضر وضعاً من الاجتماع الإنساني يتحدد بمواصفات، وينشئ علاقات، وينضبط بسنن وعوامل بيئية وعقدية ونفسية واجتماعية، وهو ما يجعله متعارضاً مع حالة الترحال والتشتت

---

(١) بلفقيه، محمد. **العلوم الاجتماعية ومشكلة القيم: تأصيل الصلة**، الرباط: منشورات المعارف، ط١، ٢٠٠٧م، ص٣٨٣.

(٢) من مؤلفات مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، وشروط النهضة، ومشكلة الأفكار، وميلاد مجتمع؛ شبكة العلاقات الاجتماعية، وبين الرشاد إلى التيه، وغيرها. وقد أنجزت العديد من الدراسات حول فكر مالك بن نبي وتصوره لمشكلات الحضارة.

(٣) النجار، عبد المجيد عمر. **فقه التحضر الإسلامي**، من سلسلة "الشهود الحضاري للأمة الإسلامية"، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٩م، من ص١٩-٢٥.

والبداوة التي لا يتأتى منها علوم وآداب وفنون ونظم وعمارة،[1] مشيراً إلى أن مصطلح التحضر لا يحمل معنى قيمياً معيارياً، بل هو وصف موضوعي قد يحقق الصلاح والخير، أو الفساد والشر. وهذه التفاتة مهمة من عبد المجيد النجار أدرك من خلالها أن قيمة التحضر في مدى تحقيقه للأمن والخير والصلاح، وليست قيمته في منجزاته المادية كما حصرته الحضارة الغربية.

وإذا كان الأمر كذلك، فيمكن القول: إنّ العمران هو أرقى وضع في الاجتماع الإنساني حيث يقابله الخراب والفساد، ويحمل في ذاته معنى قيمياً معيارياً بدلالات إيجابية وأبعاد شاملة.

إلا أن محمد بلفقيه عدّ أن "مجرد العمران يعني الوجود ولا يعني الحضارة؛ لأن الحضور يقتضي أن يأتي العمران وفق نموذج يقتدي به الإنسان؛ أي نمط من العلاقات مع بني البشر الآخرين، ومع الكون، أو مسخرات الله في الكون"[2] ونحن قد نتفق مع هذا القول إذا كان الحديث عن مجرد العمران، لكننا نتحدث هنا عن العمران وفق الاصطلاح القرآني والحديثي.

رابعاً: حد العمران في اصطلاح القرآن والحديث

١- موارد لفظ العمران في القرآن والحديث: إحصاء ووصف

أ- موارد لفظ العمران في القرآن الكريم:

---

(١) هنا تأثر النجار بابن خلدون دون أن ينتبه إلى غلط ابن خلدون في أن "الملة في أولها لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتضى أحوال السذاجة والبداوة،... وجرى الأمر على ذلك زمن الصحابة والتابعين" وهذا غلط بين تنفيه كثير من الوقائع والشواهد. وقد تنبه لذلك العلامة الشيخ المحدث عبد الحي الكتاني في التراتيب الإدارية، واعتبر قول ابن خلدون من فلتاته فرد عليه قوله هذا. انظر:

- الكتاني، عبد الحي. **نظام الحكومة النبوية المسمى «التراتيب الإدارية»**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ص١١-١٢.

(٢) بلفقيه، **العلوم الاجتماعية ومشكلة القيم: تأصيل الصلة**، مرجع سابق، ص٣٨٣.

لفظ (العمران) من حيث هو اسم ومصدر لم يرد في القرآن، ولكن وردت اشتقاقاته وما يدل عليه. فورد لفظ: "عمارة"، و"عمر" و"استعمر" و"عمَّر" و"معمر" و"المعمور" و"العمر" و"عمرك" و"العمرة" و"عمران". وقد ذكرت هذه الألفاظ في تسعة عشر موضعاً في خمس وعشرين مرة، توزعت على خمس عشرة سورة من القرآن: أربع سور مدنيات هي: البقرة، وآل عمران، والتوبة، والتحريم، وتسع سور مكيات وهي: يونس، وهود، والحجر، والنحل، والأنبياء، والشعراء، والقصص، والروم، وفاطر، ويسن، والطور. وقد ورد لفظ العمران باشتقاقاته حسب المعاني الآتية:

- على صيغة اسم علم:

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران: ٣٣].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ [آل عمران: ٣٥].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم: ١٢].

- بمعنى العمارة الشعائرية التعبدية؛ أي عمران المساجد وخدمتها:

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾ [التوبة: ١٧].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: ١٨].

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [التوبة: ١٩].

- **بمعنىٰ الزمن:**

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [يونس: ١٦].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأنبياء :٤٤].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [النحل: ٧٠].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [فاطر: ١١].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [البقرة: ٩٦].

وقال عز من قائل: ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يس: ٦٨].

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ ﴾ [القصص: ٤٥].

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الشعراء: ١٨].

- **بمعنىٰ الإقامة والاستقرار وبناء الحضارة:**

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الروم: ٩].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ ﴾ [الطور: ٤].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [هود: ٦١].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٧].

- بمعنىٰ نسك العمرة:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴿١٩٦﴾﴾ [البقرة: ١٩٦].

- بمعنىٰ الحياة:

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الحجر: ٧٢].

ب- موارد لفظ العمران في الحديث النبوي الشريف:

لفظ (العمران) من حيث هو اسم ومصدر لم يرد في الحديث النبوي الشريف، ولكن وردت اشتقاقاته، ووردت فيه بمعان:

- معنىٰ العمرة والاعتمار:

ومنه عَنْ قَتَادَةَ سَأَلْتُ أَنَساً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "كَمْ اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: أَرْبَعٌ؛ عُمْرَةُ الْحُدَيْبِيَةِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ حَيْثُ صَدَّهُ المشرِكُونَ، وَعُمْرَةٌ مِنْ الْعَامِ المقبلِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ حَيْثُ صَالَحَهُمْ، وَعُمْرَةُ الْجِعِرَّانَةِ إِذْ قَسَمَ غَنِيمَةَ أُرَاهُ حُنَيْنٍ قُلْتُ:كَمْ حَجَّ؟. قَالَ: وَاحِدَةً."[1]

- معنىٰ العمرىٰ؛[2] أي العطية المحددة بعمر المعطىٰ أو المعطي:

---

(١) البخاري، **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب: العمرة، باب: كم اعتمر النبي ﷺ؟، ج٢، ص٦٣٠، حديث رقم: (١٦٨٧)، وكتاب: المغازي، باب: غزوة الحديبية، ج٤، ص١٥٣٢، حديث رقم: (٣٩٤٥).

وفي الروايات الأخرىٰ تصريح بأن العمرة الرابعة كانت مع حجته ﷺ.

(٢) العُمْرَىٰ ما تجعله للرجل طولَ عُمُرِك أَو عُمُرِه، وقال ثعلب: العُمْرَىٰ أَن يدفع الرجل إِلىٰ أَخيه داراً فيقول هذه لك عُمُرَك أَو عُمُرِي أَيُّنا مات دُفِعَت الدار إِلىٰ أَهله، وكذلك كان فعلُهم في الجاهلية. وقد عَمَرْتُه أَياه وأَعْمَرْته: جعلتُه له عُمُرَه أَو عُمُرِي. قال ابن حجر في الفتح: "والعمرىٰ بضم المهملة =

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: "العمرىٰ جائزة"[1] وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: "أمسكوا عليكم أموالكم ولا تفسدوها، فإنه من أعمر عمرىٰ فهي للذي أعمرها حياً وميتاً ولعقبه"[2] وعن جابر أيضاً -لكن من حديث أيوب- قال: جعل الأنصار يعمرون المهاجرين فقال رسول الله ﷺ "أمسكوا عليكم أموالكم."[3]

- معنىٰ طول العمر (الأصل الحيواني):

عن أنس بن مالك أن رجلاً سأل النبي ﷺ قال: متىٰ تقوم الساعة؟ قال فسكت رسول الله ﷺ هنيهة، ثم نظر إلىٰ غلام بين يديه من أزد شنوءة، فقال: " إن عمر هذا لم

= وسكون الميم مع القصر وحكي ضم الميم مع ضم أوله وحكي فتح أوله مع السكون، وهي مأخوذة من العمر وهو الحياة، سميت بذلك لأنهم كانوا في الجاهلية يعطي الرجل الرجل الدار ويقول له: أعمرتك إياها: أي أبحتها لك مدة عمرك وحياتك، فقيل لها عمرىٰ لذلك، والرقبىٰ بوزن العمرىٰ مأخوذة من المراقبة، لأن كلاً منهما يرقب الآخر متىٰ يموت لترجع إليه، وكذا ورثته يقومون مقامه، هذا أصلها لغة. وذهب الجمهور إلىٰ أن العمرىٰ إذا وقعت كانت ملكاً للآخر ولا ترجع إلىٰ الأول إلا إذا صرح باشتراط ذلك، وإلىٰ أنها صحيحة جائزة. وحكىٰ الطبري عن بعض الناس والماوردي عن داود وطائفة وصاحب البحر عن قوم من الفقهاء: أنها غير مشروعة، ثم اختلف القائلون بصحتها إلىٰ ما يتوجه التمليك، فالجمهور أنه يتوجه إلىٰ الرقبة كسائر الهبات حتىٰ لو كان المعمر عبداً فأعتقه الموهوب له نفذ بخلاف الواهب وقيل: يتوجه إلىٰ المنفعة دون الرقبة، وهو قول مالك والشافعي في القديم وهل يسلك بها مسلك العارية أو الوقف؟ روايتان عند المالكية، وعند الحنفية التمليك في العمرىٰ يتوجه إلىٰ الرقبة، وفي الرقبة إلىٰ المنفعة، وعنهم أنها باطلة. انظر:

- ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، مادة (عمر).

- ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، مرجع سابق، ج٥، ص٢٣٨.

(١) متفق عليه. انظر:

- البخاري، **الجامع الصحيح**، مرجع سابق، كتاب: الهبة وفضلها، باب: ما قيل في العمرىٰ والرقبىٰ، ج٢، ص٩٢٥، حديث رقم: (٢٤٨٣).

- القشيري، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، كتاب: الهبات، باب: العمرىٰ، ج٣، ص١٢٤٨، حديث رقم: (١٦٢٦).

(٢) القشيري، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، كتاب: الهبات، باب: العمرىٰ، ج٣، ص١٢٤٥، حديث رقم: (١٦٢٥).

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.

يدركه الهرم حتىٰ تقوم الساعة."[1]

وفي حديث قتل الحيّات عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِي، قال: "سَمِعْتُهُ قَال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ بِالمدِينَةِ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ قَدْ أَسْلَمُوا، فَمَنْ رَأَىٰ شَيْئاً مِنْ هَذِهِ الْعَوَامِرِ، فَلْيُؤْذِنْهُ ثَلَاثاً، فَإِنْ بَدَا لَهُ بَعْدُ، فَلْيَقْتُلْهُ فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ"[2] العوامرُ: الحيَّات التي تكون في البُيوت، واحدها: عامرٌ وعامرة. وقيل: سُمِّيت عَوامِرَ لطُول أعمارها.[3]

وفي حديث محمد بن مَسْلَمة ومُحَارَبَته مَرْحباً "ما رأيت حَرْباً بَين رجُلين قَبْلَهُما مثلِهما... قام كلُّ واحِد منهما إلىٰ صاحبه عند شَجَرة عُمْريَّة يَلُوذ بها"[4] هي العظيمة القَديمة التي أتَىٰ عليها عُمْر طويل.

- معنىٰ نمط من التكتل الاجتماعي:

وفي الحديث "أنه -أي ﷺ- كَتب لعمَائر كَلْبٍ وأحْلافِها كِتاباً"[5] والعَمائر: جمعُ عَمَارَة بالفتح والكسر، وهي فَوق البَطْن من القبائل: أوّلُها الشِّعْب، ثم القَبِيلة، ثم العِمَارة، ثم البَطْن، ثم الفَخِذُ. وقيل: العَمارة: الحيُّ العظيم يُمكِنُه الانْفراد بنَفْسه، فمن فَتَحَ فلالْتِفاف بعضهم علىٰ بعضٍ كالعَمَارة: العِمَامة، ومَن كسَر فلأنَّ بهم عِمَارة الأرض.

---

(١) المرجع السابق، كتاب: الفتن، باب: قرب الساعة، ج٤، ص٢٢٦٩، حديث رقم: (٢٩٥٢).

(٢) المرجع السابق، كتاب: السلام، بَاب: قَتْلِ الْحَيَّاتِ وَغَيْرِهَا، ج٤، ص١٧٥٦، حديث رقم: (٢٢٣٦).

(٣) ابن منظور. **لسان العرب**، مرجع سابق، مادة (عمر).

(٤) ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مرجع سابق، مادة (عمر).

(٥) المرجع السابق، مادة (عمر).

ولم يثبت عن النبي ﷺ أنه كتب كتاباً إلىٰ قبيلة كلب وأحلافها، وقد جاءت في ذلك أحاديث أسانيدها ضعيفة جداً. انظر:

- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع. **الطبقات الكبرىٰ**، بيروت: دار صادر، ط١، ١٩٦٨م، ج١، ص٢٨٦-٢٨٥ وج١، ص٣٣٤-٣٣٥.

- معنى الجذر والمنبت الأصل الطبيعي:

قال رسول الله ﷺ :"أوصاني جبريل بالسِّواك حتى خَشِيتُ على عُمُورِي" العُمور: مَنَابِت الأسْنان واللَّحمُ الذي بَيْنَ مَغارِسها، الواحد: عَمْر بالفتح، وقد يُضم.

- معنى الإحاطة:

ففي الحديث "لا بأس أن يُصَلّي الرجل على عَمَرَيْه"[1] هما طَرَفَا الكُمَّيْن فيما فسَّرَه الفقهاء، وهو بفتح العين والميم، ويقال: اعْتَمر الرجل إذا اعْتَمَّ بِعمَامة، وتُسَمَّى العمامةُ العَمَارةَ بالفتح.

٢- دلالات موارد لفظ العمران في القرآن والحديث:

أ- تحليل معطى حجم الورود:

- تحليل معطى حجم الورود في القرآن الكريم:

- يحضر مصطلح العمران في القرآن الكريم من حيث اشتقاقاته حضوراً مهماً، فبالإضافة إلى وروده في تسعة عشر موضعاً في خمس وعشرين مرة، توزعت على خمس عشرة سورة من القرآن، فإن النصوص التي ورد بها تحمل دلالات عقدية وشعائرية وتاريخية واجتماعية وحضارية.

- إن نسبة حضور المصطلح في القرآن المكي تفوق نسبة حضور المصطلح في القرآن المدني بأزيد من أربعة أضعاف وهو ما يفسر الأبعاد العقدية والقيمية والاستخلافية والرسالية لمصطلح العمران.

- ورود مصطلح العمران في سياقات مختلفة: فحديث القرآن المكي عن العمران جاء في سياق التقدير الإلهي للخلق والنشأة، وفي سياق الامتنان الإلهي على الخلق بأن استعمرهم في الأرض و أمرهم بالسير فيها والاعتبار بأحوال السابقين والنظر في عاقبة المشركين المغترين بنموذجهم الحضاري في تعميرهم الأرض وما أصابهم بسبب

(١) ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مرجع سابق، مادة (عمر). ولم أقف على إسنادهما.

obeikandi.com

إعراضهم عن القيام بالدور الاستخلافي في التعمير والعمران. أما حديث القرآن المدني عن العمران فقد جاء في سياق التنبيه على قيمة الحرص على الدنيا التي استقر ودها في قلوب الذين أشركوا، وأيضاً في سياق إقامة العمارة التعبدية والشعائرية -وامتداداتها الاجتماعية والحضارية- للمساجد بوصفها مؤسسة مركزية في بناء العمران و إقامة الأمة المسلمة القطب باعتبارها بديلاً عن التجربة الشركية التي تلازمها قيم الخراب والفساد والإفساد مما يقتضي معه وعياً سنياً بمنطق التدافع والمدافعة الحضارية، ووعياً بمركزية المسجد في بناء العمران الإنساني الراشد.

- **تحليل معطى حجم الورود في الحديث النبوي:**
- يحضر مصطلح العمران من حيث اشتقاقاته في الحديث النبوي الشريف حضوراً مهماً، وحسب سياقات مختلفة اتخذت بها تلك الاشتقاقات دلالات متنوعة وغنية.
- يتضح حضور الأصل الطبيعي والحيواني لمصطلح العمران، وهو أصل دال على ارتباط العمران بالزمن والحياة.
- ورود مصطلح العمران في سياقات وأبعاد مختلفة تنضاف إلى السياقات والأبعاد الأخرى في النص القرآني وتتكامل معها.

ب- تحليل معطى شكل الورود في القرآن والحديث:

- **تحليل معطى شكل الورود في القرآن الكريم:**

- يرد مصطلح العمران في القرآن في ظل مشاهد ووقائع ذات أبعاد مختلفة تتعلق بالأفراد والجماعات والأمم، تدفع بالعقل المسلم دفعاً شديداً نحو رؤية حقيقة العمران من حيث طبيعته التي تتجاوز ما هو مادي بحت، ومن حيث وظيفته المرتبطة بالقيام بمقتضيات الأمر الاستخلافي الرسالي، ومن حيث منظومة القيم الحاكمة له التي تتجلى في قيم العدل والحق والخير والجمال.

– حضور المعطى الزمني والعقدي والتعبدي في الاستعمال القرآني لاشتقاقات مصطلح العمران، وهو ما يفيد أن أي عمران لا يقوم على استحضار هذه المعطيات الثلاثة، ولا يستثمر نتائجها وآثارها لا يمكن أن يتحقق بمناطات العمران وفق الرؤية القرآنية.

– ورود مصطلح العمران في القرآن الكريم على أنه تكليف شرعي بعمارة الأرض مبني على الإرادة الحرة للمكلفين شأن بقية التكاليف، ومؤسس على الفعالية التسخيرية والاستخلافية للجهد الإنساني، ولذلك فهو محكوم بمنظومات سننية تجعله في صلب معتركات الابتلاء والتداول والتدافع والتجديد: سقوطاً ونهوضاً. وقد نبهت الآيات إلى الأبعاد السننية للعمران، وأن أعمار الأفراد والجماعات والأمم تخضع لسنن الله تعالى التي تحكم الاجتماع البشري وحركة التاريخ.

– يتعلق العُمران في الرؤية الإسلامية بأدوار الإنسان في الكون المستخلف فيه، وهو بذلك يحمل في بنيته المفهومية مقصوده، من هنا يمتلك العمران قيمة خاصة تشكل مدخلاً رئيساً لقياس مدى حركية الاجتماع الإسلامي وفاعليته الحضارية.

– تربط الرؤية القرآنية لمصطلح العمران بينه وبين معنى الاستقرار والحياة، فالعمران في المصطلح القرآني حياة ونماء واستقرار. وهو ليس مجرد شكل مادي من أشكال الحضارة والاجتماع البشري مفصول عن غائيته وحركيته القاصدة، غير عابئ بامتداداته على المستوى القيمي والاجتماعي وإلا تحول العمران إلى خراب وطغيان وتلبس بما يقابله في اللفظ القرآني: الفساد، والقتل، وسفك الدماء، والهدم، والخراب، والتدمير، والخواء. وحينها لا يبقى من العمران إلا اسمه. لذلك يمكن أن تشكل الرؤية العمرانية القرآنية مدخلاً لمراجعة تصورات وآراء الباحثين في ميدان التاريخ، والاقتصاد، والاجتماع، والسياسة حول مفهوم التنمية والتقدم.

– العمران مصطلح قرآني ذو أبعاد متساندة تشكل في حد ذاتها منظومة خاصة من المعارف والقيم لا يمكن تحقيق كفايتها الاستيعابية إلا باستحضار مفهوم

الاستخلاف، في علاقته بمفهوم التسخير، فلا يتحقق العمران بالمعنى القرآني إلا بإطلاق الفعالية الاستخلافية والتسخيرية في اتجاه العبودية لله تعالى، ولا يبلغ مداه إلا من خلال التحامه مع المركب المفهومي: توحيد/تزكية، ومن خلال استحضار عناصره وفق الرؤية القرآنية: الإنسان – المكان – الزمن – الرسالة أو الفكرة أو الرؤية. وإذا كان العمران مرتبِطاً بعبادة الله تعالى، وهما ينتظمان معاً للاضطلاع بتمكين الإنسان من القيام بمقتضيات الاستِخْلاف، فإنَّ هذا العُمْران لا يكون إلا وفق أبعاد متكاملة: إيمانية ورسالية وإنسانية ومادية تحصنها قيم التقوى والعدل والمسؤولية والصلاح والإصلاح.

– العمران مقصد عام من مقاصد الشريعة، فكما يقول علال الفاسي: "المقصد العام للشريعة الإسلامية هو عمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش فيها، وصلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة ومن صلاح في العقل وفي العمل وإصلاح في الأرض واستنباط لخيراتها، وتدبير لمنافع الجميع"[1] وهو أيضاً منظومة تتشابك فيها وتتساند جملة من السنن والقيم والمقاصد والغايات والوسائل من حيث هو كدح وسعي، ووعي بأصول ومقاصد ومبادئ وقيم عناصر هذا الكدح والسعي الحضاري، فالكدح "قيمة تتحرك صوب عمارة الكون، وتزكية الإنسان، وترقية وتنمية الحياة، وتعتبركل هذه العناصر بدورها قيماً تحرك الفاعليات الإنسانية وتنقلها في الواقع، إن النظر إلى القيم الكونية والإنسانية والحياتية، والنظر إلى الكون بوصفه قيمة، والحياة بوصفها قيمة إنما يحرك عناصر وعي وسعي يقصد إلى الالتزام بأصول نظام للقيم ويحرك الطاقات والفاعليات في إطار ترجمة عناصر وأصول الوعي الدافع إلى فاعلية السعي ضمن إدراك يعي فعل السنن ضمن هذه العوالم، ويتغيا مقاصد كبرى هي في الحقيقة تمثل جوهر الرؤية العمرانية

(١) الفاسي، علال. **مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط٥، ١٩٩٣م، ص٤١-٤٢.

والتنموية."[1]

- تحليل معطى شكل الورود في الحديث النبوي:

- لم تحضر اشتقاقات العمران في الحديث النبوي بنفس شكل حضورها في القرآن الكريم، فقد وردت اشتقاقات مصطلح العمران في الحديث بصيغ واستعمالات جديدة وتوظيفات مغايرة. يتأكد هذا من خلال الكثافة الدلالية والثراء الاصطلاحي لمصطلح العمران في الحديث النبوي. حيث ورد في سياق تحذيري، وفي سياق تصحيحي (النهي عن الممارسة الجاهلية للعمرى)، وفي سياق البناء الاجتماعي، وفي سياق شعائري تعبدي، وفي سياق تاريخي وجغرافي وهو ما يدل عليه البعد الزماني والمكاني.

- تحضر الأبعاد المادية والزمانية، والاجتماعية، والقيمية، والتعبدية، لمصطلح العمران على مستوى اشتقاقاته في الحديث النبوي، مما يؤكد الطبيعة البنائية والكلية لهذا المصطلح.

وسنعرض هنا عن إفراد فقرات خاصة ب "تحليل المعاني والدلالات" التي يختزنها مصطلح العمران حيث تضمنت الفقرات السابقة هذا الأمر، وبعيداً عن التكرار يمكن صياغة تلك المعاني والدلالات في تعريف كلي جامع فنقول العمران في الاصطلاح القرآني والحديثي هو:

مقصد شرعي عام وتكليف رباني للإنسان -تكريماً له- بالكدح والسعي بإيجابية وتكاملية وتوازن مع الطبيعة والحياة، المفضي إلى الصلاح والإصلاح، والمؤسس على الفعالية التسخيرية والاستخلافية التي تحرر الجهد البشري من كل ضلالات الهوى

---

(١) عبد الفتاح، سيف الدين. "نحو تفعيل النموذج المقاصدي في المجال السياسي والاجتماعي"، ضمن كتاب: **مقاصد الشريعة وقضايا العصر: مجموعة بحوث**، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط١، ٢٠٠٧م، ص١٩١.

والمادة في اتجاه العبودية لله تعالىٰ، والمحكوم بسنن ناظمة، وقيم موجهة ضابطة التقوىٰ، والخير، والحق، والعدل، والجمال)، ومقاصد وغايات كبرىٰ تحقيقاً للترقي الاستخلافي الشهودي.

التعريف التركيبي: سنن العمران البشري:

أقدار الله تعالىٰ وأحكامه القدرية والتكوينية التي جرت بها عادته في تمكين الخلق من إقامة العمران توحيداً لله تعالىٰ، واستخلافاً في الأرض، وتسخيراً للطبيعة، وتحقيقاً للصلاح والإصلاح؛ تداولاً وتدافعاً وتجديداً، فيجازىٰ -عدلاً بلا محاباة- من وافقها، عمراناً راشداً، ويعاقب من خالفها، خراباً وضنكاً، ابتلاء للمؤمنين وهداية وتأييداً، وإملاء للكافرين استدراجاً وإهلاكاً.

obeikandl.com